حسن البيان

في تفسير آي القرآن

سورة المطففين

لأبي الحسن محمد بن حسن بن عباس

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

أَسمَاءُ السُّورَةِ: -

سُمِّيَت هَذِهِ السُّورَةُ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ وَفِي بَعضِ التَّفَاسِيرِ «سُورَةَ: وَيلٌ لِلمُطَفِّفِينَ»، وَسُمِّيَت فِي كَثِيرٍ مِن كُتُبِ التَّفسِيرِ وَالمَصَاحِفِ: «سُورَةَ المُطَفِّفِينَ» اختِصَارًا.(١)

عَن أَبِي هُرَيرَةَ، أَنَّهُ قَدِمَ المَدِينَةَ فِي رَهطٍ مِن قَومِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِخَيبَرَ، وَقَدِ استَخلَفَ سِبَاعَ بنَ عُرفُطَةَ عَلَى المَدِينَةِ، قَالَ: «فَانتَهَيتُ إِلَيهِ وَهُوَ يَقرَأُ فِي صَلَاةِ الصُّبحِ فِي الرَّكعَةِ الأُولَى بِـ: كَهَيعَصٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ: وَيلٌ لِلمُطَفِّفِينَ»، قَالَ: فَقُلتُ لِنَفسِي: «وَيلٌ لِفُلَانٍ، إِذَا اكتَالَ اكتَالَ بِالوَافِي، وَإِذَا كَالَ كَالَ بِالنَّاقِصِ»، قَالَ: «فَلَمَّا صَلَّى زَوَّدَنَا شَيئًا حَتَّى أَتَينَا خَيبَرَ، وَقَدِ افتَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ خَيبَرَ»، قَالَ: «فَكَلَّمَ المُسلِمِينَ فَأَشرَكُونَا فِي سِهَامِهِم»(٢)

هَلِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ أَو مَدَنِيَّةٌ؟

* اختَلَفَ العُلَمَاءُ فِيهَا عَلَى أَقوَالٍ:

القَولُ الأَوَّلُ: سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ فِي قَولِ ابنِ مَسعُودٍ وَالضَّحَّاكِ وَمُقَاتِلٍ وَيَحيَى بنِ سَلَّامٍ.

(١) «التَّحرِيرُ وَالتَّنوِيرُ» (٣٠/ ١٨٧).

(٢) «مُسنَدُ أَحمَدَ» (١٤/ ٢٢٦ ط الرِّسَالَة).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ ابنُ عَطِيَّةَ: احتَجَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ؛ بِذِكرِ الأَسَاطِيرِ فِيهَا، أَي قَولُهُ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القَلَمُ: ١٥]. وَالَّذِي نَختَارُهُ: أَنَّهَا نَزَلَت قَبلَ الهِجرَةِ؛ لِأَنَّ مُعظَمَ مَا اشتَمَلَت عَلَيهِ: التَّعرِيضُ بِمُنكِرِي البَعثِ، وَكَذَلِكَ فِيهَا (كَلَّا) الَّتِي هِيَ غَالِبًا مَا تَكُونُ فِي السُّوَرِ المَكِّيَّةِ.(١)

القَولُ الثَّانِي: سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ فِي قَولِ الحَسَنِ وَعِكرِمَةَ؛ لِأَنَّ فِيهَا أَحكَامًا فِقهِيَّةً، كَالتَّطفِيفِ فِي المَوَازِينِ، وَاختَارَهُ ابنُ كَثِيرٍ.(٢)

القَولُ الثَّالِثُ: السُّورَةُ مَدَنِيَّةٌ إِلَّا آخِرَ آيَاتٍ مِن قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ [المُطَفِّفِينَ:٢٩] فَمَكِّيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا تَتَكَلَّمُ عَن أَوضَاعٍ كَانَت قَبلَ الهِجرَةِ. وَهَذَا اختِيَارُ ابنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ.(٣)

القَولُ الرَّابِعُ: أَنَّهَا نَزَلَت بَينَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، قَالَهُ جَابِرُ بنُ زَيدٍ وَابنُ السَّائِبِ، وَذَكَرَ هِبَةُ اللَّهِ بنُ سَلَامَةَ المُفَسِّرُ أَنَّهَا نَزَلَت فِي الهِجرَةِ بَينَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، نِصفُهَا يُقَارِبُ مَكَّةَ، وَنِصفُهَا يُقَارِبُ المَدِينَةَ.(٤)

وَقَد حَصَلَ مِنَ اختِلَافِهِم أَنَّهَا: إِمَّا آخِرُ مَا أُنزِلَ بِمَكَّةَ، أَو أَوَّلُ مَا أُنزِلَ بِالمَدِينَةِ، وَالقَولُ بِأَنَّهَا نَزَلَت بَينَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ؛ قَولٌ حَسَنٌ.(٥)

---

(١) «تَفسِيرُ القُرطُبِيِّ» (١٩/ ٢٥٠).

(٢) «تَفسِيرُ ابنِ كَثِيرٍ تَ سَلَامَةٌ» (٨/ ٣٤٦).

(٣) «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلمِ التَّفسِيرِ» (٤/ ٤١٣).

(٤) «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلمِ التَّفسِيرِ» (٤/ ٤١٣).

(٥) «التَّحرِيرُ وَالتَّنوِيرُ» (٣٠/ ١٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سَبَبُ النُّزُولِ:

۞ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ كَانُوا مِن أَخبَثِ النَّاسِ كَيلًا، فَأَنزَلَ اللَّهُ -سُبحَانَهُ-: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]؛ فَأَحسَنُوا الكَيلَ بَعدَ ذَلِكَ».(١)

وَقَالَ الحَافِظُ فِي إِسنَادِهِ: صَحِيحٌ، وَهَذَا يُقَوِّي القَولَ بِأَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ.

۞ وَقَالَ القُرَظِيُّ: كَانَ بِالمَدِينَةِ تُجَّارٌ يُطَفِّفُونَ، وَكَانَت بِيَاعَاتُهُم كَشِبهِ القِمَارِ: المُنَابَذَةُ وَالمُلَامَسَةُ وَالمُخَاطَرَةُ، فَأَنزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى- هَذِهِ الآيَةَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السُّوقِ وَقَرَأَهَا.(٢)

۞ وَقَالَ السُّدِّيُّ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ وَبِهَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: «أَبُو جُهَينَةَ» وَمَعَهُ صَاعَانِ يَكِيلُ بِأَحَدِهِمَا وَيَكتَالُ بِالآخَرِ، فَأَنزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى- هَذِهِ الآيَةَ.(٣)

فَائِدَةٌ: أَهلُ مَكَّةَ أَهلُ وَزنٍ، وَأَهلُ المَدِينَةِ أَهلُ مِكيَالٍ.

---

(١) «سُنَنُ ابنِ مَاجَه» (٣/ ٣٣٦)، «فَتحُ البَارِي لِابنِ حَجَر» (٨/ ٦٩٦).

(٢) «أَسبَابُ النُّزُولِ ت الحُمَيدَان» (ص٤٥٢).

(٣) «أَسبَابُ النُّزُولِ ت الحُمَيدَانِ» (ص٤٥٢) «تَفسِيرُ الزَّمخَشَرِيِّ = الكَشَّافُ عَن حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنزِيلِ» (٤/ ٧١٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صِلَةُ هَذِهِ السُّورَةِ بِمَا قَبلَهَا:

مَقصُودُ هَذِهِ السُّورَةِ شَرحُ آخِرِ الإِنفِطَارِ بِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِن دَينُونَةِ العِبَادِ يَومَ التَّنَادِ؛ بِإِسكَانِ الأَولِيَاءِ أَهلِ الرَّشَادِ دَارَ النَّعِيمِ، وَالأَشقِيَاءِ أَهلِ الضَّلَالِ وَالعِنَادِ نَارَ الجَحِيمِ، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهُ مُرَبِّيهِم وَالمُحسَنُ إِلَيهِم بِعُمُومِ النِّعمَةِ، وَلَا يَتَخَيَّلُ عَاقِلٌ أَنَّ أَحَدًا يُرَبِّي أَحَدًا مِن غَيرِ سُؤَالٍ عَمَّا حَمَّلَهُ إِيَّاهُ وَكَلَّفَهُ بِهِ، وَلَا أَنَّهُ لَا يُنصِفُ بَعضَ مَن يُرَبِّيهِم مِن بَعضٍ.

وَهَذِهِ السُّورَةُ كَالَّتِي قَبلَهَا وَالَّتِي بَعدَهَا؛ تَتَحَدَّثُ عَن يَومِ القِيَامَةِ، ذُكِرَ فِيهَا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، وَفِيهَا أَعمَالُ مَن أَرَادَ أَن يَتَجَنَّبَ مَا يَكُونُ فِي يَومِ القِيَامَةِ مِن مَكَارِهَ؛ فَلْيَتَجَنَّبهَا، وَهِيَ التَّطفِيفُ.

وَقَالَ السُّيُوطِيُّ: الفَصلُ بِهَذِهِ السُّورَةِ بَينَ الإِنفِطَارِ وَالإِنشِقَاقِ الَّتِي هِيَ نَظِيرَتُهَا مِن خَمسَةِ أَوجُهٍ: الِافتِتَاحُ بِـ: (إِذَا السَّمَاءُ)، وَالتَّخَلُّصُ بِـ (يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ)، وَشَرحُ حَالِ يَومِ القِيَامَةِ، وَلِهَذَا ضُمَّت بِالحَدِيثِ السَّابِقِ، وَالتَّنَاسُبُ فِي المِقدَارِ، وَكَونُهَا مَكِّيَّةً.

وَهَذِهِ السُّورَةُ مَدَنِيَّةٌ، وَمُفتَتَحُهَا وَمُخَلَّصُهَا غَيرُ مَا لَهُمَا؛ لِنُكتَةٍ أَلهَمَنِيهَا اللَّهُ، وَذَلِكَ أَنَّ السُّوَرَ الأَربَعَ لَمَّا كَانَت فِي صِفَةِ حَالِ يَومِ القِيَامَةِ؛ ذُكِرَت عَلَى تَرتِيبِ مَا يَقَعُ فِيهِ، فَغَالِبُ مَا وَقَعَ فِي التَّكوِيرِ وَجَمِيعُ مَا وَقَعَ فِي الإِنفِطَارِ؛ وَقَعَ فِي صَدرِ يَومِ القِيَامَةِ، ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ يَكُونُ المَوقِفُ الطَّوِيلُ وَمُقَاسَاةُ العَرَقِ وَالأَهوَالِ؛ فَذَكَرَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِقَولِهِ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، ، وَهَذَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ: (يَقُومُ أَحَدُهُم فِي رَشحِهِ إِلَى أَنصَافِ أُذُنَيهِ)، ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ تَحصُلُ الشَّفَاعَةُ العُظمَى؛ فَتُنشَرُ الكُتُبُ، فَآخِذٌ بِاليَمِينِ وَآخِذٌ بِالشِّمَالِ وَآخِذٌ مِن وَرَاءِ الظَّهرِ، ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ يَقَعُ الحِسَابُ، هَكَذَا وَرَدَت -بِهَذَا التَّرتِيبِ- الأَحَادِيثُ؛ فَنَاسَبَ تَأخِيرَ سُورَةِ الانشِقَاقِ الَّتِي فِيهَا إِتيَانُ الكُتُبِ وَالحِسَابُ عَنِ السُّورَةِ الَّتِي قَبلَهَا وَالَّتِي فِيهَا ذِكرُ المَوقِفِ، عَنِ الَّتِي فِيهَا مَبَادِئُ يَومِ القِيَامَةِ.

وَوَجهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّهُ -جَلَّ جَلَالُهُ- لَمَّا قَالَ فِي الانفِطَارِ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الإنفطار:١٠، ١١] وَذَلِكَ فِي الدُّنيَا؛ ذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ حَالَ مَا يَكتُبُهُ الحَافِظَانِ وَهُوَ (كِتَابٌ مَرقُومٌ) جُعِلَ فِي عِلِّيِّينَ أو فِي سِجِّينٍ، وَذَلِكَ -أَيضًا- فِي الدُّنيَا، لَكِنَّهُ عَقَّبَ بِالكِتَابَةِ؛ إِمَّا فِي يَومِهِ، أَو بَعدَ المَوتِ فِي البَرزَخِ كَمَا فِي الآثَارِ، فَهَذِهِ حَالَةٌ ثَانِيَةٌ فِي الكِتَابِ ذُكِرَت فِي السُّورَةِ الثَّانِيَةِ، وَلَهُ حَالَةٌ ثَالِثَةٌ مُتَأَخِّرَةٌ فِيهَا وَهِيَ أَخذُ صَاحِبِهِ بِاليَمِينِ أَو غَيرِهَا، وَذَلِكَ يَومَ القِيَامَةِ؛ فَنَاسَبَ تَأخِيرَ السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا ذَلِكَ عَنِ السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا الحَالَةُ الثَّانِيَةُ وَهِيَ الانشِقَاقُ، فَلِلَّهِ الحَمدُ عَلَى مَا مَنَّ بِالفَهمِ لِأَسرَارِ كِتَابِهِ، ثُمَّ رَأَيتُ الإِمَامَ فَخرَ الدِّينِ قَالَ فِي سُورَةِ المُطَفِّفِينَ -أَيضًا-: اتِّصَالُ أَوَّلِهَا بِآخِرِ مَا قَبلَهَا ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهُ -تَعَالَى- بَيَّنَ هُنَاكَ أَنَّ يَومَ القِيَامَةِ مِن صِفَتِهِ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار:١٩]، وَذَلِكَ يَقتَضِي تَهدِيدًا عَظِيمًا لِلعُصَاةِ؛ فَلِهَذَا أَتبَعَهُ بِقَولِهِ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١] الآيَات.[١]

(١) «التَّفسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ٨٢) «أَسرَارُ تَرتِيبِ القُرآنِ» (ص١٥٦) «نَظمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَوضُوعَاتُ السُّورَةِ:-

تَتَأَلَّفُ السُّورَةُ مِن أَربَعَةِ مَقَاطِعَ.

يَبدَأُ المَقطَعُ الأَوَّلُ مِنهَا بِإِعلَانِ الحَربِ عَلَى المُطَفِّفِينَ: (وَيلٌ لِلمُطَفِّفِينَ).

وَيَتَحَدَّثُ المَقطَعُ الثَّانِي: عَن الفُجَّارِ فِي شِدَّةٍ وَرَدعٍ وَزَجرٍ، وَتَهدِيدٍ بِالوَيلِ وَالهَلَاكِ.

وَالمُقطَعُ الثَّالِثُ: يَعرِضُ الصِّفَةَ المُقَابِلَةَ؛ صِفَةَ الأَبرَارِ، وَرِفعَةَ مَقَامِهِم، وَالنَّعِيمَ المُقَرَّرَ لَهُم.

وَالمَقطَعُ الأَخِيرُ: يَصِفُ مَا كَانَ الأَبرَارُ يُلَاقُونَهُ -فِي عَالَمِ الغُرُورِ البَاطِلِ- مِنَ الفُجَّارِ مِن إِيذَاءٍ وَسُخرِيَةٍ وَسُوءِ أَدَبٍ

وَفِي هَذِهِ السُّورَةُ تَذكِيرٌ بِالحِسَابِ وَدِقَّتِهِ عَلَى العِبَادِ، وَذِكرُ اللَّهِ أَحوَالَ المُعَانِدِينَ لِلحَقِّ وَأَعمَالَهُم، وَعَاقِبَةَ المُتَّقِينَ.(١)

وَأيضا لَمَّا خَتَمَ سُورَةَ الِانفِطَارِ بِانقِطَاعِ الأَسبَابِ وَانحِسَامِ الأَنسَابِ يَومَ الحِسَابِ، وَأَبلَغَ فِي التَّهدِيدِ بِيَومِ الدِّينِ، وَأَنَّهُ لَا أَمرَ لِأَحَدٍ مَعَهُ، وَذَكَرَ الأَشقِيَاءَ وَالسُّعَدَاءَ، وَكَانَ أَعظَمَ مَا يَدُورُ بَينَ العِبَادِ المَقَادِيرُ، وَكَانَتِ المَعصِيَةُ بِالبَخسِ فِيهَا مِن أَخَسِّ المَعَاصِي وَأَدنَاهَا، حَذَّرَ مِنَ الخِيَانَةِ فِيهَا، وَذَكَرَ مَا أُعِدَّ لِأَهلِهَا، وَجَمَعَ إِلَيهِم

=الآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١/ ٣١٠).

(١) «التَّفسِيرُ وَالبَيَانُ لِأَحكَامِ القُرآنِ» (٤/ ٢٢٠٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كُلَّ مَنِ اتَّصَفَ بِوَصفِهِم، فَحَمَلَهُ وَصفُهُ عَلَى نَوعٍ مِنَ المَعَاصِي، كُلُّ ذَلِكَ تَنبِيهًا لِلأَشقِيَاءِ الغَافِلِينَ عَلَى مَا هُم فِيهِ مِنَ السُّمُومِ المُمرِضَةِ المُهلِكَةِ، وَنَبَّهَ عَلَى الشِّفَاءِ لِمَن أَرَادَهُ؛ فَقَالَ[1]:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:١-٦]

وَجهُ تَعيِيرِهِم بِالتَّطفِيفِ وَإِلحَاقِ الوَعِيدِ بِهِم لِمَكَانِهِ، وَإِن كَانُوا مُستَوجِبِينَ لِلوَعِيدِ وَإِن أَوفَوا المِكيَالَ، وَلَم يُطَفِّفُوا فِيهِ؛ إِذ كَانُوا جَاحِدِينَ بِاللَّهِ -تَعَالَى- وَمُكَذِّبِينَ بِالبَعثِ-: هُوَ أَنَّ الكَفَرَةَ لَم يَكُونُوا اعتَقَدُوا الكُفرَ بِاللَّهِ -تَعَالَى- لِتَلَذُّذٍ يَقَعُ لَهُم بِنَفسِ الكُفرِ، وَلَا التَزَمُوهُ عَلَى التَّحسِينِ لَهُم إِيَّاهُ، وَإِنَّمَا أَعرَضُوا عَنِ الإِيمَانِ لِحُبِّهِمُ الرِّيَاسَةَ، وَلِمَأكَلَةٍ كَانَت لَهُم خَافُوا زَوَالَهَا عَنهُم بِالإِسلَامِ.

أَو زَهَدُوا عَنهُ؛ لِمَا يَلزَمُهُم بِالإِيمَانِ مِن مُؤَنٍ، وَاختَارُوا الكُفرَ؛ لِئَلَّا يَلزَمَهُم بِالإِيمَانِ تَحَمُّلُهَا؛ فَكَانَ الَّذِي يَحمِلُهُم عَلَى الصَّدِّ عَنِ الإِيمَانِ وَتَركِ النَّظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَحُجَجِهِ مَا ذَكَرنَا؛ فَعُيِّرُوا بِالأَفعَالِ الدَّنِيَّةِ الَّتِي كَانُوا يَتَعَاطَونَهَا فِيمَا بَينَهُم مِنَ التَّطفِيفِ وَالهَمزِ وَاللَّمزِ وَتَركِهِم

(١) «نَظمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٣١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِيتَاءَ الزَّكَاةِ؛ بِقَولِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾[فصلت:٧]؛ لِيَنقَلِعُوا عَنهَا؛ فَيَحمِلَهُم ذَلِكَ عَلَى النَّظَرِ فِي القُرآنِ وَالتَّدَبُّرِ فِيهِ، وَهُوَ كَمَا ذَكَرنَا فِي القِتَالِ أَنَّ فِيهِ مَا يَحمِلُهُم عَلَى الإِيمَانِ؛ لِأَنَّهُم كَانُوا يَتَزَهَّدُونَ عَنهُ لِحُبِّهِمُ الدُّنيَا، فَإِذَا قُوتِلُوا ضَاقَت عَلَيهِمُ الدُّنيَا؛ فَبَعَثَهُم ذَلِكَ عَلَى الإِيمَانِ بِاللَّهِ -تَعَالَى- وَعَلَى النَّظَرِ فِي آيَاتِهِ[١]

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]

المَعنَى اللُّغَوِيُّ لِكَلِمَةِ ﴿وَيْلٌ﴾:

قَالَ الأَصمَعِيُّ: وَيلٌ: تَقبِيحٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٨١]، وَقَد يُوضَعُ مَوضِعَ التَّحَسُّرِ وَالتَّفَجُّعِ، نَحوُ: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٣١].[٢]

وَكَلِمَةُ «وَيلٌ» تُقَالُ فِي كُلِّ مَن وَقَعَ فِي هَلَكَةٍ لَا يُرجَى خَلَاصُهُ مِنهَا.[٣]

وَقَالَ سِيبَوَيهِ: الوَيلُ: كَلِمَةٌ تُقَالُ لِمَن وَقَعَ فِي هَلَكَةٍ، وَالوَيحُ: زَجرٌ لِمَن أَشرَفَ عَلَى هَلَكَةٍ.[٤]

---

(١) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٥٣).

(٢) «الإِتقَانُ فِي عُلُومِ القُرآنِ» (٢/ ٣٠٧).

(٣) «دُرَّةُ التَّنزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأوِيلِ» (١/ ١٣٤٩).

(٤) «لِسَانُ العَرَبِ» (١١/ ٧٣٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين:١٠]: لَا نَقُولُ: هَذَا دُعَاءٌ؛ لِأَنَّ الكَلَامَ بِذَلِكَ قَبِيحٌ، وَلَكِنَّ العَرَبَ إِنَّمَا تَكَلَّمُوا بِكَلَامِهِم وَجَاءَ القُرآنُ عَلَى لُغَتِهِم وَعَلَى مَا يَعنُونَ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُم: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]؛ أَي: هَؤُلَاءِ مِمَّا وَجَبَ هَذَا القَولُ لَهُم؛ لِأَنَّ هَذَا الكَلَامَ إِنَّمَا يُقَالُ لِصَاحِبِ الشُّرُورِ وَالهَلَكَةِ؛ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ مِمَّن دَخَلَ فِي الهَلَكَةِ[(١)].

۞ **وَقَالَ الرَّاغِبُ:** مَن قَالَ: «وَيلٌ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ»؛ فَإِنَّهُ لَم يُرِد أَنَّ وَيلًا فِي اللُّغَةِ هُوَ مَوضُوعٌ لِهَذَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ: مَن قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى- ذَلِكَ فِيهِ فَقَدِ استَحَقَّ مَقَرًّا مِنَ النَّارِ، وَثَبَتَ ذَلِكَ لَهُ[(٢)].

۞ **وَقِيلَ:** أَصلُهُ الهَلَكَةُ، فَكُلُّ مَن وَقَعَ فِي هَلَكَةٍ دَعَا بِالوَيلِ، وَمِنهُ قَولُهُ -تَعَالَى-: ﴿يَوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَٰبِ﴾ [الكهف:٤٩][(٣)].

۞ **قَالَ الفَيرُوزَآبَادِيُّ:**

الوَيلُ: حُلُولُ الشَّرِّ. وَالوَيلَةُ: الفَضِيحَةُ، وَقِيلَ: هُوَ تَفجِيعٌ.

وَوَيَّلَهُ وَوَيَّلَ لَهُ: أَكثَرَ لَهُ مِن ذِكرِ الوَيلِ.

وَتَوَيَّلَ هُوَ: دَعَا بِالوَيلِ لِمَا نَزَلَ بِهِ. وَتَقُولُ: وَيلُ الشَّيطَانِ -مُثَلَّثَةُ اللَّامِ- مُضَافَةٌ، وَوَيلًا لَهُ، وَوَيلٌ لَهُ، وَوَيلٍ لَهُ، مُنَوَّنَةٌ مُثَلَّثَةٌ، وَوَيلٌ وَئِيلٌ وَوَئِلٌ: مُبَالَغَةٌ[(٤)].

---

(١) «الإِتقَانُ فِي عُلُومِ القُرآنِ» (٣/ ٢٦٠).

(٢) «المُفرَدَاتُ فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص٨٨٨).

(٣) «تَفسِيرُ القُرطُبِيِّ» (٢/ ٨).

(٤) «بَصَائِرُ ذَوِي التَّمييزِ فِي لَطَائِفِ الكِتَابِ العَزِيزِ» (٥/ ٢٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَد وَرَدَت كَلِمَةُ «وَيلٌ» فِي التَّنزِيلِ عَلَى وُجُوهٍ:

مِنهَا لِليَهُودِ	﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [البقـرة:٧٩]
لِليَهُودِ لِتَبدِيلِ نَعتِ النَّبِيِّ ﷺ	﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [البقرة:٧٩]
لِأَبِي جَهلٍ	﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴾ [القيامة:٤٣]
لِعُقبَةَ بنِ أَبِي مُعَيطٍ	﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾ [الفرقان:٨٢]
لِلظَّالِمِينَ	﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾ [الزخرف:٦٥]
لِلكُفَّارِ وَالمُشرِكِينَ	﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ [مريم:٧٣]
لِلكَاذِبِينَ	﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾ [الجاثية:٧]
لِمَن كَذَّبَ المُرسَلِينَ	﴿ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [الطور:١١]
لِلمُذنِبِينَ الخَطَّائِينَ	﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر:٢٢]
لِلعَيَّابِينَ وَالمُغتَابِينَ	﴿ويلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١]
لِلغَافِلِينَ فِي صَلَاتِهِم	﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ [الماعون:٤-٥]
لِأَصحَابِ التَّطفِيفِ فِي المَوَازِينِ	﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين:١]

المَصدَرُ: «بَصَائِرُ ذَوِي التَّمييزِ فِي لَطَائِفِ الكِتَابِ العَزِيزِ» (٥/ ٢٩١)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَدِ افتَتَحَ اللَّهُ ثَلَاثَ سُوَرٍ بِالدُّعَاءِ، وَهِيَ: وَيلٌ لِلمُطَفِّفِينَ، وَيلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ، وَتَبَّت.[١]

(١) «الإِتقَانُ فِي عُلُومِ القُرآنِ» (٣/ ٣٦٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]

قَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١] فِي (وَيلٌ) سَبعَةُ أَقَاوِيلَ:

* **أَحَدُهَا**: أَنَّهُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ. عَن أَبِي سَعِيدٍ، عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَيلٌ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، يَهوِي فِيهِ الكَافِرُ أَربَعِينَ خَرِيفًا قَبلَ أَن يَبلُغَ قَعرَهُ.[(١)]

۞ **وَقَالَ ابنُ كَثِيرٍ**: وَهَذَا الحَدِيثُ بِهَذَا الإِسنَادِ -مَرفُوعًا- مُنكَرٌ، وَاللَّهُ أَعلَمُ.

* **الثَّانِي**: عَنِ ابنِ مَسعُودٍ، قَالَ: «وَيلٌ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، يَسِيلُ فِيهِ صَدِيدُ أَهلِ النَّارِ، جُعِلَ لِلمُكَذِّبِينَ».[(٢)] وَهَذَا قَرِيبٌ مِنَ الَّذِي قَبلَهُ.

* **الثَّالِثُ**: أَخرَجَ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ عَن عُمَرَ مَولَى عَفرَةَ، قَالَ: إِذَا سَمِعتَ اللَّهَ يَقُولُ: (وَيلٌ)؛ فَهِيَ النَّارُ.[(٣)]

* **الرَّابِعُ**: أَنَّهُ الهَلَاكُ، قَالَهُ بَعضُ أَهلِ اللُّغَةِ، قَالَ ابنُ كَثِيرٍ: الأَظهَرُ فِي تَفسِيرِ (وَيلٌ): أَنَّهُ ضِدُّ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ، كَمَا تَقُولُ العَرَبُ: وَيلٌ لَهُ، وَيَا وَيلَهُ، وَوَيلَهُ.[(٤)]

---

(١) «مُسنَدُ أَحمَدَ» (١٨/ ٢٤٠). «تَفسِيرُ ابنِ كَثِيرٍ» (١/ ٣١٢).

(٢) «البَعثُ وَالنُّشُورُ لِلبَيهَقِيِّ تَ الشَّوَامِيُّ» (ص٦٦٨).

(٣) «الدُّرُّ المَنثُورُ فِي التَّفسِيرِ بِالمَأثُورِ» (١/ ٢٠٢).

(٤) «النِّهَايَةُ فِي الفِتَنِ وَالمَلَاحِمِ» (٢/ ١٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

*الخَامِسُ: العَذَابُ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي قَولِهِ: «﴿فَوَيْلٌ لَّهُم﴾ [البَقَرَةُ: ٧٩]؛ قَالَ: فَالعَذَابُ عَلَيهِم»(١)

* السَّادِسُ: أَنَّهُ النِّدَاءُ بِالخَسَارِ وَالهَلَاكِ، وَقَد تَستَعمِلُهُ العَرَبُ فِي الحَربِ وَالسَّلبِ.

*السَّابِعُ: أَنَّ أَصلَهُ (وَي لِفُلَانٍ)؛ أَيِ: الجَورُ لِفُلَانٍ، ثُمَّ كَثُرَ استِعمَالُ الحَرفَينِ فَوُصِلَا بِلَامِ الإِضَافَةِ، أَيْ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لَهُم، أَو مَشَقَّةٌ وَعَذَابٌ لَهُم، أَو دُعَاءٌ عَلَيهِم، وَكُلُّ هَذِهِ المَعَانِي صَحِيحَةٌ.(٢)

(١) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢/ ١٦٣).

(٢) أُنظُر لِهَذِهِ الأَقوَالِ: «تَفسِيرُ المَاوَردِيِّ = النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ٢٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَا هُوَ التَّطفِيفُ، وَمَن هُمُ (المُطَفِّفِينَ)؟

(طَفَّ): الطَّاءُ وَالفَاءُ يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ الشَّيءِ. يُقَالُ: هَذَا شَيءٌ طَفِيفٌ. وَالتَّطفِيفُ: نَقصُ المِكيَالِ وَالمِيزَانِ.(١)

وَالطَّفِيفُ: الشَّيءُ النَّزرُ، وَمِنهُ: الطَّفَافَةُ: لِمَا لَا يُعتَدُّ بِهِ، وَطَفَّفَ الكَيلَ: قَلَّلَ نَصِيبَ المَكِيلِ لَهُ فِي إِيفَائِهِ وَاستِيفَائِهِ.(٢)

۞ وَقَالَ أَبُو إِسحَاقَ الزَّجَّاجُ: إِنَّمَا قِيلَ لِلَّذِي يَنقُصُ المِكيَالَ وَالمِيزَانَ مُطَفِّفٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ يُسرَقُ فِي المِكيَالِ وَالمِيزَانِ إِلَّا الشَّيءُ اليَسِيرُ الطَّفِيفُ.(٣)

۞ وَقَالَ الزَّمَخشَرِيُّ: التَّطفِيفُ: البَخسُ فِي الكَيلِ وَالوَزنِ؛ لِأَنَّ مَا يُبخَسُ شَيءٌ طَفِيفٌ حَقِيرٌ.(٤)

۞ وَقَالَ الوَاحِدِيُّ: قَالَ أَهلُ اللُّغَةِ: يُقَالُ هَذَا طَفُّ المِكيَالِ أَو طِفَافُهُ إِذَا قَارَبَ مَلأَهُ وَلَمَّا يَمتَلِئ، وَلِهَذَا قِيلَ لِلَّذِي يُسِيءُ الكَيلَ وَلَا يُوَفِّيهِ: مُطَفِّفٌ، يَعنِي: أَنَّهُ إِنَّمَا يَبلُغُ الطِّفَافَ، وَهَذَا إِنَّمَا أَخَذَ طَفَّ الشَّيءِ وَهُوَ جَانِبُهُ، يُقَالُ: طَفَّ الوَادِي وَالإِنَاءُ: إِذَا بَلَغَ مَا فِيهِ حَرفَهُ وَلَم يَمتَلِئ، فَهُوَ طَفَافُهُ وَطِفَافُهُ وَطَفَفُهُ.(٥)

---

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٣/ ٤٠٥).

(٢) «المُفرَدَاتُ فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص٥٢١).

(٣) (البَسِيطُ، الوَاحِدِيُّ ٢٣/ ٢٧٥).

(٤) «الكَشَّافُ عَن حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنزِيلِ» (٤/ ٧١٨).

(٥) «التَّفسِيرُ البَسِيطُ» (٢٣/ ٣٠٧)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ تَنبِيهٌ عَلَى أَنَّ أَصلَ الآفَاتِ الخُلُقُ السَّيِّئُ، وَهُوَ حُبُّ الدُّنيَا المُوقِعُ فِي جَمعِ الأَموَالِ مِن غَيرِ وَجهِهَا وَلَو بِأَخَسِّ الوُجُوهِ.(١)

وَلَمَّا كَانَ المُطَفِّفُ يَسعَى لِرَاحَةِ دُنيَاهُ بِجَمعِ المَالِ عَن طَرِيقِ التَّطفِيفِ، عُوقِبَ بِالوَيلِ الَّذِي حَاصِلُ مَعنَاهُ عِبءٌ دَائِمٌ، فَكَانَت عُقُوبَتُهُ بِنَقِيضِ قَصدِهِ.

(١) «نَظمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١/ ٣١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَوعِظَةٌ لِلمُطَفِّفِينَ:

حَذَّرَ اللَّهُ مِنَ التَّهَاوُنِ بِأَمرِ الكَيلِ وَالمِيزَانِ؛ فَقَالَ: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ بِالعَدلِ ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٩]، وَأَهلَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ قَومَ شُعَيبٍ -عَلَيهِ السَّلَامُ- بِسَبَبِ أَنَّهُم كَانُوا يَبخَسُونَ النَّاسَ فِي المِيزَانِ وَالكَيلِ، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٨٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

۞ وَعَن عَبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقبَلَ عَلَينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مَعشَرَ المُهَاجِرِينَ: خَمسٌ إِذَا ابتُلِيتُم بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَن تُدرِكُوهُنَّ: لَم تَظهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَومٍ قَطُّ حَتَّى يُعلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوجَاعُ الَّتِي لَم تَكُن مَضَت فِي أَسلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوا، وَلَم يَنقُصُوا المِكيَالَ وَالمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ المَئُونَةِ، وَجَورِ السُّلطَانِ عَلَيهِم، وَلَم يَمنَعُوا زَكَاةَ أَموَالِهِم، إِلَّا مُنِعُوا القَطرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَولَا البَهَائِمُ لَم يُمطَرُوا، وَلَم يَنقُضُوا عَهدَ اللَّهِ، وَعَهدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيهِم عَدُوًّا مِن غَيرِهِم، فَأَخَذُوا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِم، وَمَا لَمْ تَحْكُم أَئِمَّتُهُم بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُم بَيْنَهُم» (١) وَقَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ: سَنَدُهُ جَيِّدٌ، وَقَالَ فِي المَطَالِبِ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: وَهُوَ وَهْمٌ، يَعْنِي مَرْفُوعًا، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَشْبَهُ.

۞ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجِ، قَالَ: رَأَيْتُ ابنَ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يَقْرَأُ: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) وَهُوَ يَبْكِي، قَالَ: «هُوَ الرَّجُلُ يَسْتَأْجِرُ الرَّجُلَ أَوِ الكَيَّالَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَحِيفُ فِي كَيْلِهِ؛ فَوِزْرُهُ عَلَيْهِ» (٢)

۞ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ يَمُرُّ بِالسُّوقِ فَيَقُولُ لِلبَائِعِ: «اتَّقِ اللَّهَ وَأَوْفِ الكَيْلَ وَالوَزْنَ بِالقِسْطِ، فَإِنَّ المُطَفِّفِينَ يُوقَفُونَ حَتَّى يُلْجِمَهُمُ العَرَقُ يَومَ القِيَامَةِ» (٣)

۞ وَعَنْ أُبَيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لَا تُلْتَمَسُ الحَوَائِجُ مِمَّن رِزْقُهُ فِي رُؤُوسِ المَكَايِيلِ وَأَلْسُنِ المَوَازِينِ. (٤)

---

(١) «سُنَنُ ابنِ مَاجَه» (٢/ ١٣٣٢) وَالحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ» ٤/ ٥٨٣ قَالَ الحَاكِمُ: حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.) وَرُوِيَ أَيْضًا عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ البُوصَيرِيُّ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ» إِتْحَافُ الخِيرَةِ ٦/ ٣٤٦، الفَتْحُ (١٢/ ٣٠١) العِلَلُ ٢/ ٤٢٣ «أَنِيسُ السَّارِي (تَخْرِيجُ أَحَادِيثِ فَتْحِ البَارِي)» (٦/ ٤٣٥٠).

(٢) «المُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلحَاكِمِ» (٢/ ٥٦٢) التَّعْلِيقُ -مِن تَلْخِيصِ الذَّهَبِيِّ-: إِبْرَاهِيمُ بنُ يَزِيدَ؛ وَاهٍ.

(٣) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ = الكَشْفُ وَالبَيَانُ عَن تَفْسِيرِ القُرْآنِ ط دَارُ التَّفْسِيرِ» (٢٩/ ٤٣).

(٤) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ = الكَشْفُ وَالبَيَانُ عَن تَفْسِيرِ القُرْآنِ ط دَارُ التَّفْسِيرِ» (٢٩/ ٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: احتَضَرَ جَارٌ لِي فَجَعَلَ يَقُولُ: جَبَلَانِ مِن نَارٍ، فَقُلتُ لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ لِي: يَا أَخِي، كَانَ لِي مِكيَالَانِ، آخُذُ بِالوَافِي، وَأُعطِي بِالنَّاقِصِ.(١)

۞ وَقَالَ قَتَادَةُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «أَوفِ يَا ابنَ آدَمَ الكَيلَ كَمَا تُحِبُّ أَن يُوَفَّى لَكَ، وَاعدِل كَمَا تُحِبُّ أَن يُعدَلَ لَكَ»، كَمَا تُحِبُّ أَن تُعَامَلَ عَامِلِ النَّاسَ.(٢)

۞ وَعَنِ الفُضَيلِ بنِ عِيَاضٍ: بَخسُ المِيزَانِ سَوَادُ الوَجهِ يَومَ القِيَامَةِ.(٣)

۞ وَقَالَ أَعرَابِيٌّ لِعَبدِ المَلِكِ بنِ مَروَانَ: قَد سَمِعتَ مَا قَالَ اللَّهُ فِي المُطَفِّفِينَ! أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ المُطَفِّفَ قَد تَوَجَّهَ عَلَيهِ الوَعِيدُ العَظِيمُ الَّذِي سَمِعتَ بِهِ، فَمَا ظَنُّكَ بِنَفسِكَ وَأَنتَ تَأخُذُ أَموَالَ المُسلِمِينَ بِلَا كَيلٍ وَلَا وَزنٍ؟!(٤)

(١) «تَفسِيرُ الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ٤٢) «تَفسِيرُ ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٤٩).

(٢) «تَفسِيرُ الرَّازِيّ = مَفَاتِيحُ الغَيبِ أَو التَّفسِيرُ الكَبِيرِ» (٣١/ ٨٤).

(٣) «تَفسِيرُ الزَّمخَشَرِيِّ = الكَشَّافُ عَن حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنزِيلِ» (٤/ ٧٢٠).

(٤) «تَفسِيرُ الزَّمخَشَرِيِّ = الكَشَّافُ عَن حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنزِيلِ» (٤/ ٧٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالتَّطفِيفُ يَدخُلُ فِي كُلِّ شَيءٍ:

عَن يَحيَى بنِ سَعِيدٍ، أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ انصَرَفَ مِن صَلَاةِ العَصرِ فَلَقِيَ رَجُلًا لَم يَشهَدِ العَصرَ. فَقَالَ عُمَرُ: «مَا حَبَسَكَ عَن صَلَاةِ العَصرِ»؟ فَذَكَرَ لَهُ الرَّجُلُ عُذرًا، فَقَالَ عُمَرُ: «طَفَّفتَ».(١)

وَعَن سَلمَانَ الفَارِسِيِّ، قَالَ: «الصَّلَاةُ مِكيَالٌ، فَمَن أَوفَى أَوفَى اللَّهُ، وَقَد عَلِمتُم مَا قَالَ اللَّهُ فِي الكَيلِ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]»(٢)

وَعَن وَهبِ بنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: «تَركُكَ المُكَافَأَةَ تَطفِيفٌ، وَقَد قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]»(٣)

وَعَن مُغِيثِ بنِ سُمَيٍّ قَالَ: التَّطفِيفُ: فِي الصَّلَاةِ وَالوُضُوءِ وَالمِكيَالِ وَالمِيزَانِ.(٤) وَقَد أَدرَكَ مُغِيثٌ أَلفًا مِن أَصحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.(٥)

وَقَالَ مَالِكٌ: يُقَالُ: «لِكُلِّ شَيءٍ وَفَاءٌ وَتَطفِيفٌ»(٦)، يَعنِي أَنَّ هَذِهِ اللَّفظَةَ تَدخُلُ فِي كُلِّ شَيءٍ مَذمُومٍ زِيَادَةً وَنُقصَانًا.(٧)

وَقَالَ القُشَيرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: لَفظُ المُطَفِّفِ يَتَنَاوَلُ التَّطفِيفَ

---

(١) «مُوَطَّأُ مَالِكٍ ت عَبدُ البَاقِي» (١/ ١٢).

(٢) «مُصَنَّفُ ابنِ أَبِي شَيبَةَ» (١/ ٢٥٩).

(٣) «شُعَبُ الإِيمَانِ» (١١/ ٣٩٦).

(٤) «الاستِذكَارُ» (١/ ٦٧).

(٥) «التَّارِيخُ الكَبِيرُ لِلبُخَارِيِّ بِحَوَاشِي المَطبُوعِ» (٨/ ٢٤).

(٦) «مُوَطَّأُ مَالِكٍ ت عَبدِ البَاقِي» (١/ ١٢).

(٧) «الاستِذكَارُ» (١/ ٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فِي الـوَزنِ وَالكَيـلِ، وَفِي إِظهَـارِ العَيـبِ وَإِخفَائِـهِ، وَفِي طَلَـبِ الإِنصَـافِ وَالِانتِصَـافِ، وَيُقَـالُ: مَـن لَم يَـرضَ لِأَخِيـهِ المُسـلِمِ مَـا يَرضَـاهُ لِنَفسِـهِ؛ فَلَيـسَ بِمُنصِـفٍ، وَالمُعَـاشَرَةُ وَالصُّحبَـةُ مِـن هَـذِهِ الجُملَـةِ، وَالَّـذِي يَـرَى عَيـبَ النَّـاسِ وَلَا يَـرَى عَيـبَ نَفسِـهِ مِـن هَـذِهِ الجُملَـةِ، وَمَـن طَلَـبَ حَـقَّ نَفسِـهِ مِـنَ النَّـاسِ، وَلَا يُعطِيهِـم حُقُوقَهُـم كَـمَا يَطلُبُـهُ لِنَفسِـهِ، فَهُـوَ مِـن هَـذِهِ الجُملَـةِ، وَالفَتَـى مَـن يَقـضِي حُقُـوقَ النَّـاسِ وَلَا يَطلُـبُ مِـن أَحَـدٍ لِنَفسِـهِ حَقًّـا.(١)

۞ **وَقَـالَ السَّـعدِيُّ**: دَلَّـتِ الآيَـةُ الكَرِيمَـةُ عَـلَى أَنَّ الإِنسَـانَ كَـمَا يَأخُـذُ مِـنَ النَّـاسِ الَّـذِي لَـهُ؛ يَجِـبُ عَلَيـهِ أَن يُعطِيَهُـم كُلَّ مَا لَهُـم مِـنَ الأَمـوَالِ وَالمُعَامَلَاتِ، بَـل يَدخُـلُ فِي عُمُـومِ هَـذَا الحُجَـجُ وَالمَقَـالَاتُ، فَإِنَّـهُ كَـمَا أَنَّ المُتَنَاظِرَيـنِ قَـد جَـرَتِ العَـادَةُ أَنَّ كُلَّ وَاحِـدٍ مِنهُـمَا يَحـرِصُ عَـلَى مَـا لَـهُ مِـنَ الحُجَـجِ، فَيَجِـبُ عَلَيـهِ -أَيضًـا- أَن يُبَـيِّنَ مَـا لِخَصمِـهِ مِـنَ الحُجَـجِ الَّتِـي لَا يَعلَمُهَـا، وَأَن يَنظُـرَ فِي أَدِلَّـةِ خَصمِـهِ كَـمَا يَنظُـرُ فِي أَدِلَّتِـهِ هُـوَ، وَفِي هَـذَا المَوضِـعِ يُعـرَفُ إِنصَـافُ الإِنسَـانِ مِـن تَعَصُّبِـهِ وَاعتِسَـافِهِ، وَتَوَاضُعُـهُ مِـن كِـبرِهِ، وَعَقلُـهُ مِـن سَـفَهِهِ، نَسـأَلُ اللَّـهَ التَّوفِيـقَ لِـكُلِّ خَـيرٍ.(٢)

---

(١) «تَفسِيرُ الرَّازِيّ = مَفَاتِيحُ الغَيبِ أَوِ التَّفسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ٨٥).

(٢) «تَفسِيرُ السَّعدِيِّ = تَيسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحمَنِ» (ص٩١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّـهُ مِثَالًا لِأَشهَرِ أَنوَاعِ التَّطفِيفِ؛ فَقَالَ:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين:٢-٣]

﴿يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين:٣] أَي: يُنقِصُونَ ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[المطففين:٢]: عَلَى وَإِلَى يَتعَاقَبَانِ، وَالعَرَبُ تُبَدِّلُ حُرُوفَ الجَرِّ بَعضَهَا مِن بَعضٍ إِذَا أَرَادَت ذَلِكَ. (١) ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟﴾ [المطففين:٢] يَعنِي: إِذَا اشتَرَوا مِنَ النَّاسِ أَخَذُوا حَقَّهُم كَامِلًا، وَإِذَا أَرَادُوا البَيعَ يُنقِصُونَ لَهُمُ الوَزنَ.

۞ قَالَ الطَّبَرِيُّ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكرُهُ: الَّذِينَ إِذَا اكتَالُوا مِنَ النَّاسِ مَا لَهُم قِبَلَهُم مِن حَقٍّ؛ يَستَوفُونَ لِأَنفُسِهِم فَيَكتَالُونَهُ مِنهُم وَافِيًا، وَإِذَا هُم كَالُوا لِلنَّاسِ أَو وَزَنُوا لَهُم يُنقِصُونَهُم. (٢)

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ حُرمَةَ الرِّبَا لَيسَت لِمَكَانِ العَاقِدَينِ، وَإِنَّمَا هِيَ حَقٌّ عَلَى العَاقِدَينِ لِلَّهِ -تَعَالَى-؛ وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي يُكَالُ لَهُ كَانَ يَأخُذُ مَا يُكَالُ لَهُ عَلَى عِلمٍ مِنهُ بِتَطفِيفِ البَائِعِ، ثُمَّ كَانَ يَرضَى بِهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَن ذَلِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ لَحِقَهُمُ التَّعيِيرُ بِالتَّطفِيفِ؛ فَدَلَّ أَنَّ حُرمَتَهُ لَيسَت لِمَكَانِ العَاقِدَينِ، وَلَكِنَّهَا مِن حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى. (٣)

وَقَد خَصَّ اللَّهُ أَمرَ الكَيلِ وَالمِيزَانِ بِالذِّكرِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَامَّةَ الخَلقِ يَحتَاجُونَ إِلَى المُعَامَلَاتِ، وَهِيَ مَبنِيَّةٌ عَلَى أَمرِ الكَيلِ وَالمِيزَانِ (٤).

(١) «النُّكَتُ الدَّالَّةُ عَلَى البَيَانِ فِي أَنوَاعِ العُلُومِ وَالأَحكَامِ» (٤/ ٤٨٣).
(٢) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ١٨٦).
(٣) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٥٤).
(٤) «تَفسِيرُ الرَّازِيّ = مَفَاتِيحُ الغَيبِ أَو التَّفسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ٨٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَهَـذِهِ اللَّفتَـةُ المُبَكِّـرَةُ فِي البِيئَـةِ المَكِّيَّـةِ تُوَضِّـحُ طَبِيعَـةَ هَـذَا الدِّيـنِ، وَشُـمُولَ مَنهَجِـهِ لِلحَيَـاةِ الوَاقِعِيَّـةِ وَشُـؤُونِهَا العِلمِيَّـةِ، وَإِقَامَتِهَـا عَـلَى الأَسَـاسِ الأَخلَاقِـيِّ العَمِيـقِ الأَصِيـلِ فِي طَبِيعَـةِ هَـذَا المَنهَـجِ الإِلَهِـيِّ القَوِيـمِ؛ فَقَـد كَـرِهَ هَـذِهِ الحَالَـةَ الصَّارِخَـةَ مِـنَ الظُّلـمِ وَالانحِـرَافِ الأَخلَاقِـيِّ فِي التَّعَامُـلِ وَهُـوَ لَم يَتَسَـلَّم بَعـدُ زِمَـامَ الحَيَـاةِ الاجتِمَاعِيَّـةِ لِيُنَظِّمَهَـا وَفـقَ شَرِيعَتِـهِ بِقُـوَّةِ القَانُـونِ وَسُـلطَانِ الدَّولَـةِ؛ وَأَرسَـلَ هَـذِهِ الصَّيحَـةَ المُدَوِّيَـةَ بِالحَـربِ وَالوَيـلِ عَـلَى المُطَفِّفِـينَ وَهُـم يَومَئِـذٍ سَـادَةُ مَكَّـةَ أَصحَـابُ السُّـلطَانِ المُهَيمِـنِ لَا عَـلَى أَروَاحِ النَّـاسِ وَمَشَـاعِرِهِم عَـن طَرِيـقِ العَقِيـدَةِ الوَثَنِيَّـةِ فَحَسـب، بَـل كَذَلِـكَ عَـلَى اقتِصَادِيَّاتِهِـم وَشُـؤُونِ مَعَاشِـهِم.

وَمِـن ثَـمَّ نُـدرِكُ طَرَفًا مِـنَ الأَسبَابِ الحَـقِيقَـةِ الَّتِي جَعَلَـت كُـبَرَاءَ قُرَيشٍ يَقِفُـونَ فِي وَجـهِ الدَّعـوَةِ الإِسـلَامِيَّةِ هَـذِهِ الوَقفَـةَ العَنِيـدَةَ؛ فَهُـم كَانُـوا يُدرِكُـونَ -وَلَا رَيـبَ- أَنَّ هَـذَا الأَمـرَ الجَـدِيـدَ الَّـذِي جَاءَهُـم بِـهِ مُحَمَّـدٌ ﷺ لَيـسَ مُجَـرَّدَ عَقِيـدَةٍ تَكمُـنُ فِي الضَّمِـيرِ، وَلَا تَتَطَلَّـبُ مِنهُـم إِلَّا شَـهَادَةً مَنطُوقَـةً؛ بِـأَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُـولُ اللَّـهِ، وَصَلَاةً يُقِيمُونَهَا لِلَّـهِ بِلَا أَصنَـامٍ وَلَا أَوثَانٍ؛ كَلَّا، لَقَـد كَانُوا يُدرِكُـونَ أَنَّ هَذِهِ العَقِيـدَةَ تَعنِي مَنهَجًـا يُحَطِّمُ كُلَّ أَسَـاسِ الجَاهِلِيَّةِ الَّتِي تَقُـومُ عَلَيهَـا أَوضَاعُهُـم وَمَصَالِحُهُم وَمَرَاكِزُهُـم، وَأَنَّ طَبِيعَـةَ هَذَا المَنهَـجِ لَا تَقبَلُ مَثنَوِيَّـةً[1] وَلَا تَلتَئِـمُ مَـعَ عُنـصِرٍ أَرضِيٍّ غَـيرِ مُنبَثِـقٍ مِـن عُنصِرُهَا السَّـمَاوِيِّ، وَأَنَّهَا تُهَـدِّدُ كُلَّ المُقَوِّمَـاتِ الأَرضِيَّـةِ الهَابِطَـةِ الَّتِي تَقُـومُ عَلَيهَـا الجَاهِلِيَّةُ.. وَمِن ثَمَّ شَـنُّوا

(١) أي: استِثنَاءً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَيهَا تِلكَ الحَربَ الَّتِي لَم تَضَع أَوزَارَهَا، لَا قَبلَ الهِجرَةِ وَلَا بَعدَهَا؛ الحَربَ الَّتِي تُمَثِّلُ الدِّفَاعَ عَن أَوضَاعِهِم كُلِّهَا فِي وَجهِ الأَوضَاعِ الإِسلَامِيَّةِ، لَا عَن مُجَرَّدِ الاِعتِقَادِ وَالتَّصَوُّرِ المُجَرَّدَينِ.

وَالَّذِينَ يُحَارِبُونَ سَيطَرَةَ المَنهَجِ الإِسلَامِيِّ عَلَى حَيَاةِ البَشَرِ فِي كُلِّ جِيلٍ وَفِي كُلِّ أَرضٍ يُدرِكُونَ هَذِهِ الحَقِيقَةَ، يُدرِكُونَهَا جَيِّدًا، وَيَعلَمُونَ أَنَّ أَوضَاعَهُمُ البَاطِلَةَ، وَمَصَالِحَهُمُ المُغتَصَبَةَ، وَكِيَانَهُمُ الزَّائِفَ، وَسُلُوكَهُمُ المُنحَرِفَ؛ هَذِهِ كُلُّهَا هِيَ الَّتِي يُهَدِّدُهَا المَنهَجُ الإِسلَامِيُّ القَوِيمُ الكَرِيمُ!

وَالطُّغَاةُ البُغَاةُ الظَّلَمَةُ المُطَفِّفُونَ -فِي أَيَّةِ صُورَةٍ مِن صُوَرِ التَّطفِيفِ فِي المَالِ أَو فِي سَائِرِ الحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ- هُمُ الَّذِينَ يُشفِقُونَ أَكثَرَ مِن غَيرِهِم مِن سَيطَرَةِ ذَلِكَ المَنهَجِ العَادِلِ النَّظِيفِ الَّذِي لَا يَقبَلُ المُسَاوَمَةَ، وَلَا المُدَاهَنَةَ، وَلَا أَنصَافَ الحُلُولِ!

وَهَذَا الكَلَامُ كُلُّهُ عَلَى اعتِبَارِ أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين:٤]

فَلَو أَيقَنُوا بِالبَعثِ مَا فَعَلُوا هَذَا، وَكُلُّ ذَنبٍ سَبَبُهُ عَدَمُ الإِيمَانِ بِالبَعثِ أَو نَقصُهُ، وَقَد سَبَقَ التَّنبِيهُ عَلَى هَذَا مِرَارًا.

وَقَولُهُ -جَلَّ ذِكرُهُ- (ظَنَّ): الظَّاءُ وَالنُّونُ أَصلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعنَيَينِ مُختَلِفَينِ: يَقِينٍ وَشَكٍّ.(١)

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٣/ ٤٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالظَّنُّ يَتَوَلَّدُ مِنَ البَحثِ عَنِ الأَمرِ وَالنَّظَرِ فِيهِ، وَإِذَا تَدَبَّرَ فِيهِ، فَهُوَ لَا يَزَالُ يَرتَقِي فِي الظَّنِّ دَرَجَةً فَدَرَجَةً؛ حَتَّى يَنتَهِيَ نِهَايَتَهُ وهي بُلُوغَ اليَقِينِ وَدَركَ الصَّوَابِ؛ فَلِذَلِكَ حَمَلَ أَهلُ التَّفسِيرِ تَأوِيلَ الظَّنِّ هَاهُنَا عَلَى اليَقِينِ وَالعِلمِ؛ إِذ ذَلِكَ نِهَايَةُ الظَّنِّ.(١)

۞ وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ: أَلَا يَستَيقِنُ المُطَفِّفُ فِي الكَيلِ وَالوَزنِ بِالبَعثِ يَومَ القِيَامَةِ؟!(٢)

۞ وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو جَعفَرِ بنُ الزُّبَيرِ: لَمَّا قَالَ -سُبحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي سُورَةِ الإِنفِطَارِ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الإنفطار: ١٠-١١] الآيَةَ، وَكَانَ مُقتَضَى ذَلِكَ الإِشعَارَ بِوُقُوعِ الجَزَاءِ عَلَى جُزئِيَّاتِ الأَعمَالِ، وَأَنَّهُ لَا يَفُوتُ عَمَلٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؛ أَتبَعَ الآيَةَ المُتَقَدِّمَةَ بِجَزَاءِ عَمَلٍ يُتَوَهَّمُ فِيهِ قُربُ المُرتَكِبِ، وَهُوَ مِن أَكبَرِ الجَرَائِمِ، وَذَلِكَ التَّطفِيفُ فِي المِكيَالِ وَالمِيزَانِ، وَالإِنحِرَافُ عَن إِقَامَةِ القِسطِ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، ثُمَّ أَردَفَ تَهدِيدَهُم وَتَشدِيدَ وَعِيدِهِم؛ فَقَالَ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ [المطففين: ٤-٥]، ثُمَّ التَحَمَتِ الآيُ مُنَاسِبَةً لِمَا افتُتِحَت بِهِ السُّورَةُ إِلَى خِتَامِهَا - انتَهَى.(٣)

---

(١) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٥٤).

(٢) «التَّفسِيرُ البَسِيطُ» (٢٣/ ٣١٢).

(٣) «نَظمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٣١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَاليَقِينُ هُوَ البَاعِثُ عَلَى العَمَلِ، فَمَن زَادَ يَقِينُهُ زَادَ عَمَلُهُ، وَمَن ضَعُفَ يَقِينُهُ ضَعُفَ عَمَلُهُ.

۞ عَنِ الحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُؤْتَوا فِي هَذِهِ الدُّنيَا خَيرًا مِنَ اليَقِينِ وَالعَافِيَةِ؛ فَسَلُوهُمَا اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ»، وَالأَثَرُ مُرسَلٌ.

۞ وَقَالَ الحَسَنُ: «صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ بِاليَقِينِ طُلِبَتِ الجَنَّةُ، وَبِاليَقِينِ هُرِبَ مِنَ النَّارِ، وَبِاليَقِينِ أُتِيَتِ الفَرَائِضُ، وَبِاليَقِينِ صُبِرَ عَلَى الحَقِّ، وَفِي مُعَافَاةِ اللَّهِ خَيرٌ كَثِيرٌ، قَد -وَاللَّهِ- رَأَينَاهُم يَتَقَارَبُونَ فِي العَافِيَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ البَلَاءُ تَفَارَقُوا»(١)

۞ وَقَالَ لُقمَانُ لِابنِهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا-: «يَا بُنَيَّ؛ العَمَلُ لَا يُستَطَاعُ إِلَّا بِاليَقِينِ، وَمَن يَضعُف يَقِينُهُ يَضعُف عَمَلُهُ».(٢)

۞ وَقَالَ: «يَا بُنَيَّ؛ إِذَا جَاءَكَ الشَّيطَانُ مِن قِبَلِ الشَّكِّ وَالرِّيبَةِ؛ فَاغلِبهُ بِاليَقِينِ وَالصِّحَّةِ، وَإِذَا جَاءَكَ مِن قِبَلِ الكَسَلِ وَالسَّآمَةِ؛ فَاغلِبهُ بِذِكرِ القَبرِ وَالضَّمَّةِ، وَإِذَا جَاءَ مِن قِبَلِ الرَّغبَةِ وَالرَّهبَةِ؛ فَأَخبِرهُ أَنَّ الدُّنيَا مُفَارَقَةٌ وَمَترُوكَةٌ».(٣)

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ [المطففين: ٤-٥]

قَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤-٥].

---

(١) «السُّنَنُ الصَّغِيرُ لِلبَيهَقِيِّ» (١/ ١٦)، «اليَقِينُ لِابنِ أَبِي الدُّنيَا» (ص٣٦)، وَهُوَ مُرسَلٌ.

(٢) «السُّنَنُ الصَّغِيرُ لِلبَيهَقِيِّ» (١/ ١٦)، «اليَقِينُ لِابنِ أَبِي الدُّنيَا» (ص٤٦).

(٣) «السُّنَنُ الصَّغِيرُ لِلبَيهَقِيِّ» (١/ ١٦)، «اليَقِينُ لِابنِ أَبِي الدُّنيَا» (ص٤٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لِيَومٍ عَظِيمٍ شَأْنُهُ، هَائِلٍ أَمرُهُ، فَظِيعٍ هَولُهُ.(١)

وَلَـمَّـا ذَكَرَ اللَّـهُ عَظَمَةَ هَذَا اليَومِ؛ ثَنَّى بِذِكرِ أَحَدِ أَسبَابِ عَظَمَتِهِ؛ فَقَالَ:

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]

* وَهَذِهِ الآيَةُ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَقَاوِيلَ:

* أَحَدُهَا: يَومَ يَقُومُونَ مِن قُبُورِهِم، قَالَهُ ابنُ جُبَيرٍ.

* الثَّانِي: يَقُومُونَ بَينَ يَدَيهِ تَعَالَى لِلقَضَاءِ، قَالَهُ يَزِيدُ بنُ الرِّشكِ.

* الثَّالِثُ: أَنَّهُ جِبرِيلُ، يَقُومُ لِرَبِّ العَالَمِينَ، قَالَهُ ابنُ جُبَيرٍ.

* وَيُحتَمَلُ رَابِعٌ: يَقُومُونَ لِرَبِّ العَالَمِينَ فِي الآخِرَةِ بِحُقُوقِ عِبَادِهِ فِي الدُّنيَا.(٢)

شِدَّةُ هَولِ يَومِ القِيَامَةِ: -

عَن عَبدِ اللَّـهِ بنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّـهُ عَنهُمَا-: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦] «حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُم فِي رَشحِهِ إِلَى أَنصَافِ أُذُنَيهِ»(٣)

وَعَنِ المِقدَادِ بنِ الأَسوَدِ، قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ، يَقُولُ: «تُدنَى الشَّمسُ يَومَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنهُم كَمِقدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدرِ أَعمَالِهِم فِي العَرَقِ؛ فَمِنهُم مَن يَكُونُ إِلَى كَعبَيهِ،

(١) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ١٨٧).

(٢) «تَفسِيرُ المَاوَردِيِّ = النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ٢٢٧).

(٣) «صَحِيحُ البُخَارِيِّ» (٦/ ١٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَمِنهُم مَن يَكُونُ إِلَى رُكبَتَيهِ، وَمِنهُم مَن يَكُونُ إِلَى حَقوَيهِ، وَمِنهُم مَن يُلجِمُهُ العَرَقُ إِلجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.(١)

۞ وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ العَرَقَ يَومَ القِيَامَةِ لَيَذهَبُ فِي الأَرضِ سَبعِينَ بَاعًا، وَإِنَّهُ لَيَبلُغُ إِلَى أَفوَاهِ النَّاسِ، أَو إِلَى آذَانِهِم».(٢)

وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِن ضِيقِ المُقَامِ فِي يَومِ القِيَامَةِ، عَن عَاصِمِ بنِ حُمَيدٍ، قَالَ: سَأَلتُ عَائِشَةَ: بِأَيِّ شَيءٍ كَانَ يَفتَتِحُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِيَامَ اللَّيلِ؟ فَقَالَت: لَقَد سَأَلتَنِي عَن شَيءٍ مَا سَأَلَنِي عَنهُ أَحَدٌ قَبلَكَ، كَانَ إِذَا قَامَ كَبَّرَ عَشرًا، وَحَمِدَ اللَّهَ عَشرًا، وَسَبَّحَ عَشرًا، وَهَلَّلَ عَشرًا، وَاستَغفَرَ عَشرًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغفِر لِي، وَاهدِنِي، وَارزُقنِي، وَعَافِنِي»، وَيَتَعَوَّذُ مِن ضِيقِ المُقَامِ يَومَ القِيَامَةِ.(٣)

(١) «صَحِيحُ مُسلِمٍ» (٤/ ٢١٩٦).

(٢) «صَحِيحُ البُخَارِيِّ» (٨/ ١١١) «صَحِيحُ مُسلِمٍ» (٤/ ٢١٩٦).

(٣) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ الأَرنَؤُوط» (٢/ ٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هَل يُخَفَّفُ شِدَّةُ وَهَولُ المَوقِفِ عَلَى أَهلِ الإِيمَانِ؟

يُخَفِّفُ اللَّهُ الكَرِيمُ عَلَى أَهلِ الإِيمَانِ هَولَ المَوقِفِ مِنَّةً مِنهُ وَفَضلًا، وَاستَدَلَّ العُلَمَاءُ عَلَى ذَلِكَ بِأَدِلَّةٍ:

* **الدَّلِيلُ الأَوَّلُ:** ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان:٢٦]

۞ **قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ:** هُوَ عَلَى الكَافِرِينَ عَسِيرٌ، وَهُوَ عَلَى المُؤمِنِينَ غَيرُ عَسِيرٍ عَلَيهِم.(١)

وَهَذَا يُسَمَّى مَفهُومَ المُخَالَفَةِ؛ وَمَعنَاهُ: الاِستِدلَالُ بِتَخصِيصِ الشَّيءِ بِالذِّكرِ عَلَى نَفيِ الحُكمِ عَمَّا عَدَاهُ.

۞ **وَقَالَ الإِمَامُ القَصَّابُ وَالثَّعلَبِيُّ وَالبَغَوِيُّ:** فِي هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ عَلَى المُؤمِنِينَ يَسِيرٌ، وَهِيَ بِشَارَةٌ لَهُم، إِذ مُحَالٌ أَن يَخُصَّ الكُفَّارَ بِصِفَةِ عُقُوبَةٍ لَهُم، إِلَّا وَالمُؤمِنُونَ بِضِدِّ تِلكَ الصِّفَةِ.(٢)

* **الدَّلِيلُ الثَّانِي:** قَولُ رَبِّنَا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونُسُ:٦٢] أَلَا إِنَّ أَنصَارَ اللَّهِ لَا خَوفٌ عَلَيهِم فِي الآخِرَةِ مِن عِقَابِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَضِيَ عَنهُم فَآمَنَهُم مِن عِقَابِهِ، وَلَا هُم يَحزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُم مِنَ الدُّنيَا.(٣)

---

(١) «التَّفسِيرُ البَسِيطُ» (١٦/ ٤٧٠).

(٢) «النُّكَتُ الدَّالَّةُ عَلَى البَيَانِ فِي أَنوَاعِ العُلُومِ وَالأَحكَامِ» (٣/ ٥٠٧) «تَفسِيرُ البَغَوِيِّ» (٦/ ٨٠) «تَفسِيرُ الثَّعلَبِيِّ» (١٩/ ٣٩٤).

(٣) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجر» (١٢/ ٢٠٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* **الدَّلِيلُ الثَّالِثُ:** قَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٣]

وَاختَارَ الطَّبَرِيُّ أَنَّ الفَزَعَ الأَكبَرَ هُوَ: النَّفخَةُ الثَّانِيَةُ، وَهِيَ نَفخَةُ البَعثِ، وَقَالَ: وَمَن لَم يَحزُنهُ ذَلِكَ الفَزَعُ الأَكبَرُ وَأَمِنَ مِنهُ فَهُوَ مِمَّا بَعدَهُ أَحرَى أَلَا يَفزَعَ، وَأَنَّ مَن أَفزَعَهُ ذَلِكَ فَغَيرُ مَأمُونٍ عَلَيهِ الفَزَعُ مِمَّا بَعدَهُ.(١)

* **الدَّلِيلُ الرَّابِعُ:** عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَومًا كَانَ مِقدَارُهُ خَمسِينَ أَلفَ سَنَةٍ، مَا أَطوَلَ هَذَا اليَومَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى المُؤمِنِ، حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيهِ مِن صَلَاةٍ مَكتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنيَا»(٢) قَالَ ابنُ حَجَرٍ: سَنَدُهُ حَسَنٌ.(٣)

۞ **وَعَن إِبرَاهِيمَ التَّيمِيِّ، قَالَ:** «مَا طُولُ يَومِ القِيَامَةِ عَلَى المُؤمِنِينَ، إِلَّا مِثلُ مَا بَينَ صَلَاةِ الظُّهرِ، وَالعَصرِ».(٤)

وَأَشَارَ بِقَولِهِ: ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦] إِلَى أَنَّهُ مُرَبِّيهِم وَمَسئُولٌ عَن أُمُورِهِم، فَلَا يَلِيقُ أَن يُهمِلَ مِن أُمُورِهِم شَيئًا.(٥)

---

(١) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (١٦/ ٤٢٢).

(٢) «مُسنَدُ أَحمَدَ» (١٨/ ٢٤٦ ط الرِّسَالَةِ) «تَفسِيرُ القُرطُبِيِّ» (١٩/ ٢٥٦).

(٣) «فَتحُ البَارِي لِابنِ حَجَرٍ» (١١/ ٤٤٨).

(٤) «تَفسِيرُ عَبدِ الرَّزَّاقِ» (٣/ ٤٠٤).

(٥) «اللُّبَابُ فِي عُلُومِ الكِتَابِ» (٢٠/ ٢١٠)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حُكمُ القِيَامِ لِلقَادِمِ: -

وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ بِالمَنعِ؛ كَحَدِيثِ أَنَسٍ، وَمُعَاوِيَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا-، وَأَحَادِيثُ أُخرَى بِالإِبَاحَةِ.

۞ عَن أَنَسٍ، قَالَ: لَم يَكُن شَخصٌ أَحَبَّ إِلَيهِم مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوهُ لَم يَقُومُوا؛ لِمَا يَعلَمُونَ مِن كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ.(١)

۞ وَعَن أَبِي مِجلَزٍ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ، فَقَامَ عَبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيرِ وَابنُ صَفوَانٍ حِينَ رَأَوهُ؛ فَقَالَ: اجلِسَا، سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَن سَرَّهُ أَن يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَليَتَبَوَّأ مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ.(٢) وَهَذَا الحَدِيثُ حَمَلَهُ الخَطَّابِيُّ عَلَى مَا إِذَا أَمَرَهُم بِذَلِكَ وَأَلزَمَهُم عَلَى طَرِيقِ الكِبرِ.(٣) وَفِي قَولِهِ بُعدٌ لاَ يَخفَى.

وَقَد وَرَدَ حَدِيثٌ بِالجَوَازِ؛ وَهُوَ حَدِيثُ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُم»، عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ-، قَالَ: لَمَّا نَزَلَت بَنُو قُرَيظَةَ عَلَى حُكمِ سَعدٍ هُوَ ابنُ مُعَاذٍ، بَعَثَ إِلَيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ قَرِيبًا مِنهُ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُم» فَجَاءَ، فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكمِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَحكُمُ أَن تُقتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَن تُسبَى الذُّرِّيَّةُ، قَالَ: «لَقَد حَكَمتَ فِيهِم بِحُكمِ المَلِكِ».(٤)

---

(١) «سُنَنُ التِّرمِذِيِّ ت بَشَّارٌ» (٤/ ٣٨٧).

(٢) «سُنَنُ التِّرمِذِيِّ ت بَشَّارٌ» (٤/ ٣٨٧).

(٣) «الآدَابُ الشَّرعِيَّةُ وَالمِنَحُ المَرعِيَّةُ» (١/ ٤١١).

(٤) «صَحِيحُ البُخَارِيِّ» (٤/ ٦٧) «صَحِيحُ مُسلِمٍ» (٣/ ١٣٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرحِ هَذَا الحَدِيثِ: فِيهِ إِكرَامُ أَهلِ الفَضلِ وَتَلَقِّيهِم بِالقِيَامِ لَهُم إِذَا أَقبَلُوا، هَكَذَا احتَجَّ بِهِ جَمَاهِيرُ العُلَمَاءِ لِاستِحبَابِ القِيَامِ، وَالقِيَامُ لِلقَادِمِ مِن أَهلِ الفَضلِ مُستَحَبٌّ، وَقَد جَاءَ فِيهِ أَحَادِيثُ، وَلَم يَصِحَّ فِي النَّهيِ عَنهُ شَيءٌ صَرِيحٌ.(١)

۞ وَقَالَ حَربٌ: سُئِلَ أَحمَدُ عَنِ الرَّجُلِ يَقدُمُ مِن سَفَرٍ فَيَأتِيهِ إِخوَانُهُ فَيَقُومُ لَهُم وَيُسَلِّمُ عَلَيهِم وَيُعَانِقُهُم؟

۞ قَالَ: أَرجُو أَلَّا يَكُونَ بِهِ بَأسٌ، ثُمَّ قَالَ أَحمَدُ: استَقبَلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعفَرًا فَالتَزَمَهُ.(٢)

۞ وَقَالَ ابنُ العَرَبِيِّ: ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى حَالِ الرَّجُلِ وَنِيَّتِهِ؛ فَإِنِ انتَظَرَ ذَلِكَ وَاعتَقَدَهُ لِنَفسِهِ حَقًّا؛ فَهُوَ مَمنُوعٌ، وَإِن كَانَ عَلَى طَرِيقِ البَشَاشَةِ وَالوَصلَةِ فَإِنَّهُ جَائِزٌ، وَخَاصَّةً عِندَ الأَسبَابِ؛ كَالقُدُومِ مِنَ السَّفَرِ وَنَحوِهِ.(٣)

۞ وَقَالَ ابنُ تَيمِيَّةَ: لَم تَكُن عَادَةُ السَّلَفِ عَلَى عَهدِ النَّبِيِّ ﷺ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ: أَن يَعتَادُوا القِيَامَ كُلَّمَا يَرَونَهُ -عَلَيهِ السَّلَامُ- كَمَا يَفعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَأَمَّا القِيَامُ لِمَن يَقدُمُ مِن سَفَرٍ وَنَحوِ ذَلِكَ تَلَقِّيًا لَهُ؛ فَحَسَنٌ. وَإِذَا كَانَ مِن عَادَةِ النَّاسِ إِكرَامُ الجَائِي بِالقِيَامِ، وَلَو تُرِكَ لَاعتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ لِتَركِ حَقِّهِ أَو قَصدِ خَفضِهِ وَلَم يَعلَمِ العَادَةَ المُوَافِقَةَ لِلسُّنَّةِ؛ فَالأَصلَحُ أَن

(١) «شَرحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسلِمٍ» (١٢/ ٩٣).

(٢) «الجَامِعُ لِعُلُومِ الإِمَامِ أَحمَدَ - الأَدَبُ وَالزُّهدُ» (٢٠/ ١٥٨).

(٣) «أَحكَامُ القُرآنِ لِابنِ العَرَبِيِّ ط العِلمِيَّة» (٤/ ٣٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُقَامَ لَهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَصلَحُ لِذَاتِ البَينِ وَإِزَالَةِ التَّبَاغُضِ وَالشَّحنَاءِ؛ وَأَمَّا مَن عَرَفَ عَادَةَ القَومِ المُوَافِقَةَ لِلسُّنَّةِ: فَلَيسَ فِي تَركِ ذَلِكَ إِيذَاءٌ لَهُ.(١)

وَنَستَطِيعُ أَن نُقَسِّمَ القِيَامَ لِلرَّجُلِ إِلَى أَربَعَةِ أَوجُهٍ:

١- وَجهٌ يَكُونُ القِيَامُ فِيهِ مَحظُورًا لَا يَحِلُّ، وَهُوَ أَن يَقُومَ إِكبَارًا وَتَعظِيمًا لِمَن يُحِبُّ أَن يُقَامَ إِلَيهِ تَكَبُّرًا وَتَجَبُّرًا عَلَى القَائِمِينَ إِلَيهِ.

٢- وَوَجهٌ يَكُونُ فِيهِ مَكرُوهًا، وَهُوَ أَن يَقُومَ إِكبَارًا وَتَعظِيمًا وَإِجلَالًا لِمَن لَا يُحِبُّ أَن يُقَامَ إِلَيهِ، وَلَا يَتَكَبَّرُ عَلَى القَائِمِينَ إِلَيهِ، فَهَذَا يُكرَهُ؛ لِلتَّشَبُّهِ بِفِعلِ الجَبَابِرَةِ، وَلِمَا يُخشَى أَن يَدخُلَهُ مِن تَغَيُّرِ نَفسِ المَقُومِ إِلَيهِ.

٣- وَوَجهٌ يَكُونُ فِيهِ جَائِزًا، وَهُوَ أَن يَقُومَ تَجِلَّةً وَإِكبَارًا لِمَن لَا يُرِيدُ ذَلِكَ، وَلَا يُشبِهُ حَالُهُ حَالَ الجَبَابِرَةِ، وَيُؤمَنُ أَن تَتَغَيَّرَ نَفسُ المَقُومِ إِلَيهِ لِذَلِكَ، وَهَذِهِ صِفَةٌ مَعدُومَةٌ إِلَّا فِيمَن كَانَ بِالنُّبُوَّةِ مَعصُومًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَغَيَّرَت نَفسُ عُمَرَ بِالدَّابَّةِ الَّتِي رَكِبَ عَلَيهَا، فَمَن سِوَاهُ بِذَلِكَ أَحرَى.

٤- وَوَجهٌ يَكُونُ فِيهِ حَسَنًا، وَهُوَ أَن يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى القَادِمِ عَلَيهِ مِن سَفَرٍ فَرَحًا بِقُدُومِهِ لِيُسَلِّمَ عَلَيهِ، أَو إِلَى القَادِمِ عَلَيهِ مَسرُورًا بِنِعمَةٍ أَولَاهَا اللَّهُ إِيَّاهُ؛ لِيُهَنِّئَهُ بِهَا، أَو إِلَى القَادِمِ عَلَيهِ المُصَابِ بِمُصِيبَةٍ؛ لِيُعَزِّيَهُ بِمُصَابِهِ، وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ، فَعَلَى هَذَا يَتَخَرَّجُ مَا وَرَدَ فِي هَذَا البَابِ مِنَ الآثَارِ، وَلَا يَتَعَارَضُ شَيءٌ مِنهَا، مِن ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: «مَن أَحَبَّ أَن يَمثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا؛ فَليَتَبَوَّأ مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٢)

(١) «مَجمُوعُ الفَتَاوَى» (١/ ٣٧٥).

(٢) «البَيَانُ وَالتَّحصِيلُ» (٤/ ٣٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين:٧-١٧]

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧]

يَقُولُ -تَعَالَى ذِكْرُهُ-: كَلَّا، أَي: لَيسَ الأَمرُ كَمَا يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الكُفَّارُ أَنَّهُم غَيرُ مَبعُوثِينَ وَلَا مُعَذَّبِينَ، إِنَّ كِتَابَهُمُ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ أَعمَالُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعمَلُونَهَا فِي الدُّنيَا؛ لَفِي سِجِّينٍ.(١)

۞ قَالَ الوَاحِدِيُّ: ﴿كَلَّآ﴾ [المطففين:٧] رَدعٌ وَتَنبِيهٌ، أَي: لَيسَ الأَمرُ عَلَى مَا هُم عَلَيهِ، فَليَرتَدِعُوا.(٢)

۞ وَقَالَ الحَسَنُ: ﴿كَلَّآ﴾ [المطففين:٧] بِمَعنَى حَقًّا، فَحَقًّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ؛ أَي: الكِتَابُ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ أَعمَالُهُم، أَو إِنَّ أَروَاحَ الفُجَّارِ وَأَعمَالَهُم لَفِي سِجَّينٍ، وَكِلَا القَولَينِ صَحِيحٌ وَلَهُ وَجهٌ.

۞ وَقَالَ الزَّمَخشَرِيُّ: ﴿كَلَّآ﴾ [المطففين:٧]: رَدَعَهُم عَمَّا كَانُوا عَلَيهِ مِنَ التَّطفِيفِ وَالغَفلَةِ عَن ذِكرِ البَعثِ وَالحِسَابِ، وَنَبَّهَهُم عَلَى أَنَّهُ مِمَّا يَجِبُ أَن

(١) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ١٩٣).

(٢) «التَّفسِيرُ البَسِيطُ» (٢٣/ ٣١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُتَابَ عَنهُ وَيُندَمَ عَلَيهِ.(١)

وَقَد سَمَّاهُمُ الْمُطَفِّفِينَ فِي المَقطَعِ الأَوَّلِ، فَأَمَّا فِي المَقطَعِ الثَّانِي فَيُسَمِّيهِمُ الفُجَّارَ.

الفُجَّارُ: (فَجَرَ) الفَاءُ وَالجِيمُ وَالرَّاءُ: أَصلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّفَتُّحُ فِي الشَّيءِ، وَمِنهُ: انفَجَرَ المَاءُ انفِجَارًا: تَفَتَّحَ. ثُمَّ كَثُرَ هَذَا حَتَّى صَارَ الِانبِعَاثُ وَالتَّفَتُّحُ فِي المَعَاصِي فُجُورًا، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الكَذِبُ فُجُورًا. ثُمَّ كَثُرَ هَذَا حَتَّى سُمِّيَ كُلُّ مَائِلٍ عَنِ الحَقِّ فَاجِرًا، وَكُلُّ مَائِلٍ عِندَهُم فَاجِرٌ.(٢)

وَقَد ذَكَرَ اللَّهُ الفَجَّارَ فِي غَيرِ مَوضِعٍ:

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧]	﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الإنفطار: ١٤]
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٢]	﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٥]

وَقَولُهُ -جَلَّ ذِكرُهُ-: ﴿سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧] هُوَ فِعِّيلٌ مِنَ السِّجنِ، كَمَا قِيلَ: رَجُلٌ سِكِّيرٌ: مِنَ السُّكرِ، وَفِسِّيقٌ: مِنَ الفِسقِ.(٣)

وَقَولُهُ -جَلَّ ذِكرُهُ-: ﴿سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧] فِيهِ ثَمَانِيَةُ أَقَاوِيلَ:

* **أَحَدُهَا:** تَحتَ الأَرضِ السَّابِعَةِ السُّفلَى. وَفِي حَدِيثِ البَرَاءِ: يَقُولُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي رُوحِ الكَافِرِ: اُكتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ.

---

(١) «تَفسِيرُ الزَّمخَشَرِيِّ = الكَشَّافُ عَن حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنزِيلِ» (٤/ ٧٢١).

(٢) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٤/ ٤٧٥).

(٣) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ١٩٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾[المطففين:١٣]، قَالَ: السَّمَاءُ السَّابِعَةُ العُلْيَا، و﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧] ، قَالَ: فِي الأَرضِ السَّابِعَةِ السُّفلَى.(١)

۞ وَقَالَ ابنُ أَسلَمَ: سِجِّينٌ: الأَرضُ السَّافِلَةُ، وَسِجِّيلٌ: سَمَاءُ الدُّنيَا.(٢)

۞ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: سِجِّينٌ: صَخرَةٌ فِي الأَرضِ السَّابِعَةِ، فَيُجعَلُ كِتَابُ الفُجَّارِ تَحتَهَا.(٣)

۞ وَعَن خُصَيفٍ: سَأَلَ مُجَاهِدٌ مُحَمَّدَ بنَ كَعبٍ القُرَظِيَّ وَأَنَا مَعَهُ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧] قَالَ: فَقَالَ مُحَمَّدٌ: رَقَمَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- كِتَابَ الفُجَّارِ فِي أَسفَلِ الأَرضِ، فَهُم عَامِلُونَ بِمَا قَد رَقَمَ عَلَيهِم فِي ذَلِكَ الكِتَابِ، وَرَقَمَ كِتَابَ الأَبرَارِ فَجَعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ، فَهُم يُؤتَى بِهِم حَتَّى يَعمَلُوا بِمَا قَد رَقَمَ عَلَيهِم فِي ذَلِكَ الكِتَابِ.(٤) وَالرَّقمُ بِمَعنَى الكِتَابَةِ.

۞ وَقَالَ الوَاحِدِيُّ: الأَكثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ: الأَرضُ السَّابِعَةُ السُّفلَى، وَهُوَ قَولُ قَتَادَةَ، وَمُقَاتِلٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَابنِ زَيدٍ، وَمُغِيثِ بنِ سُمَيٍّ، وَعَبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو، وَابنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ عَطَاءٍ(٥)، وَكَذَلِكَ قَالَ الرَّازِيُّ.

---

(١) «تَفسِيرُ القُرآنِ مِنَ الجَامِعِ لِابنِ وَهبٍ» (٢/ ١١).

(٢) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ١٩٥).

(٣) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ١٩٧).

(٤) «شَرحُ أُصُولِ اعتِقَادِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ» (٣/ ٦١٤).

(٥) «التَّفسِيرُ البَسِيطُ» (٢٣/ ٣١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وَقَالَ ابْنُ تَيمِيَّةَ: السَّمَاءُ أَبَدًا فِي الجِهَةِ العَالِيَةِ الَّتِي عُلُوُّهَا ثَابِتٌ لَازِمٌ لَا يَتَبَدَّلُ، وَكُلَّمَا عَلَتِ اتَّسَعَت، وَالأَرضُ أَبَدًا فِي الجِهَةِ السَّافِلَةِ الَّتِي سُفُولُهَا ثَابِتٌ لَازِمٌ لَا يَتَبَدَّلُ، وَكُلَّمَا سَفُلَت ضَاقَت، فَلِهَذَا كَانَ الأَعلَى هُوَ الأَوسَعُ، وَكَانَ السُّفلُ هُوَ الأَضيَقُ، وَلِهَذَا قَابَلَ اللَّهُ -تَعَالَى- بَينَ عِلِّيِّينَ وَبَينَ سِجِينٍ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٣] وَقَالَ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧]، وَلَم يَقُل: «فِي سُفلِينَ» كَمَا لَم يَقُل هُنَاكَ «فِي وُسعِينَ» لِيُبَيِّنَ الضِّيقَ وَالحَرَجَ الَّذِي فِي المَكَانِ، كَمَا بَيَّنَ سُفُولَهُ بِمُقَابَلَتِهِ بِعِلِّيِّينَ، وَبَيَّنَ أَيضًا سِعَةَ (عِلِّيِّينَ) بِمُقَابَلَةِ (سِجِينٍ)؛ فَيَكُونُ قَد دَلَّ عَلَى العُلُوِّ وَالسِّعَةِ الَّتِي لِلأَبرَارِ، وَعَلَى السُّفُولِ وَالضِّيقِ الَّذِي لِلفُجَّارِ.(١)

۞ وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: الصَّحِيحُ أَنَّ «سِجِّينًا» مَأخُوذٌ مِنَ السَّجنِ، وَهُوَ الضِّيقُ، فَإِنَّ المَخلُوقَاتِ كُلُّ مَا تَسَافَلَ مِنهَا ضَاقَ، وَكُلُّ مَا تَعَالَى مِنهَا اتَّسَعَ، فَإِنَّ الأَفلَاكَ السَّبعَةَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهَا أَوسَعُ وَأَعلَى مِنَ الَّذِي دُونَهُ، وَكَذَلِكَ الأَرضُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ أَوسَعُ مِنَ الَّتِي دُونَهَا، حَتَّى يَنتَهِيَ السُّفُولُ المُطلَقُ وَالمَحَلُّ الأَضيَقُ إِلَى المَركَزِ فِي وَسَطِ الأَرضِ السَّابِعَةِ. وَمَصِيرُ الفُجَّارِ إِلَى جَهَنَّمَ وَهِيَ أَسفَلُ السَّافِلِينَ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٥، ٦]. وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ [المطففين:٧-٨] وَهُوَ يَجمَعُ الضِّيقَ وَالسُّفُولَ، كَمَا قَالَ:

(١) «بَيَانُ تَلبِيسِ الجَهمِيَّةِ فِي تَأسِيسِ بِدَعِهِمُ الكَلَامِيَّةِ» (٤/ ٣١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفُرقَان: ١٣][١]

وَسُمِّيَ سِجِّينًا: فِعِّيلًا مِنَ السَّجنِ، وَهُوَ الحَبسُ وَالتَّضييقُ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ الحَبسِ وَالتَّضييقِ فِي جَهَنَّمَ، أَو لِأَنَّهُ مَطرُوحٌ -كَمَا رُوِيَ- تَحتَ الأَرضِ السَّابِعَةِ فِي مَكَانٍ مُوحِشٍ مُظلِمٍ، وَهُوَ مَسكَنُ إِبلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ؛ استِهَانَةً بِهِ وَإِذَالَةً[٢]، وَلِيَشهَدَهُ الشَّيَاطِينُ المَدحُورُونَ، كَمَا يَشهَدُ دِيوَانَ الخَيرِ المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُونَ.

فَإِن قُلتَ: فَمَا سِجِّينٌ، أَصِفَةٌ هُوَ أَم اسمٌ؟

قُلتُ: بَل هُوَ اسمُ عَلَمٍ مَنقُولٌ مِن وَصفٍ كَحَاتِمٍ، وَهُوَ مُنصَرِفٌ؛ لِأَنَّهُ لَيسَ فِيهِ إِلَّا سَبَبٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّعرِيفُ.[٣] فَرُوحُ الكَافِرِ يُصعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَأبَى السَّمَاءُ أَن تَقبَلَهَا، فَتَنزِلُ إِلَى الأَرضِ السَّابِعَةِ السُّفلَى حَيثُ الضِّيقُ، وَحَيثُ مَوضِعُ جُندِ إِبلِيسَ، فَتَكُونُ فِيهَا، وَكِتَابُ أَعمَالِهِم أَيضًا يَنزِلُ إِلَى سِجِّينٍ، إِلَى ضِيقٍ وَسَجنٍ؛ فَهُوَ أَسفَلُ سَافِلِينَ، وَهُوَ ضِيقٌ وَسَجنٌ وَظَلَامٌ. فسِجِّين: تَجمَعُ الضِّيقَ وَالسُّفُولَ، وَهُوَ مَوضِعُ أَروَاحِ الجِنِّ. وَبِهَذَا تَجتَمِعُ الأَقوَالُ.

۞ عَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنصَارِ، فَانتَهَينَا إِلَى القَبرِ، وَلَمَّا يُلحَد، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَلَسنَا

(١) «تَفسِيرُ ابنِ كَثِيرٍ ت سَلَامَةٌ» (٨/ ٣٤٩).

(٢) «يُقَالُ: أَذَالَهُ إِذَالَةً، إِذَا استَهَانَ بِهِ» «كِتَابُ الأَلفَاظِ لِابنِ السِّكِّيتِ» (ص٣٩٥).

(٣) «تَفسِيرُ الزَّمَخشَرِيِّ = الكَشَّافُ عَن حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنزِيلِ» (٤/ ٧٢١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حولَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنكُتُ فِي الأَرضِ، فَرَفَعَ رَأسَهُ، فَقَالَ: «استَعِيذُوا بِاللَّهِ مِن عَذَابِ القَبرِ، مَرَّتَينِ، أَو ثَلَاثًا»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ العَبدَ المُؤمِنَ إِذَا كَانَ فِي انقِطَاعٍ مِنَ الدُّنيَا وَإِقبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمسُ، مَعَهُم كَفَنٌ مِن أَكفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِن حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَجلِسُوا مِنهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوتِ -عَلَيهِ السَّلَامُ-، حَتَّى يَجلِسَ عِندَ رَأسِهِ، فَيَقُولَ: أَيَّتُهَا النَّفسُ الطَّيِّبَةُ، اخرُجِي إِلَى مَغفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضوَانٍ». قَالَ: «فَتَخرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطرَةُ مِن فِي السِّقَاءِ، فَيَأخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَم يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرفَةَ عَينٍ حَتَّى يَأخُذُوهَا، فَيَجعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الحَنُوطِ، وَيَخرُجُ مِنهَا كَأَطيَبِ نَفحَةِ مِسكٍ وُجِدَت عَلَى وَجهِ الأَرضِ» قَالَ: «فَيَصعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعنِي بِهَا، عَلَى مَلَأٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بنُ فُلَانٍ، بِأَحسَنِ أَسمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنيَا، حَتَّى يَنتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنيَا، فَيَستَفتِحُونَ لَهُ، فَيُفتَحُ لَهُم، فَيُشَيِّعُهُ مِن كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: اكتُبُوا كِتَابَ عَبدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرضِ، فَإِنِّي مِنهَا خَلَقتُهُم، وَفِيهَا أُعِيدُهُم، وَمِنهَا أُخرِجُهُم تَارَةً أُخرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَن رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُم؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأتُ كِتَابَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللَّـهِ، فَآمَنتُ بِهِ وَصَدَّقتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَن صَدَقَ عَبدِي، فَأَفرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأتِيهِ مِن رَوحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفسَحُ لَهُ فِي قَبرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبشِر بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَومُكَ الَّذِي كُنتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَن أَنتَ؟ فَوَجهُكَ الوَجهُ يَجِيءُ بِالخَيرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرجِعَ إِلَى أَهلِي وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ العَبدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انقِطَاعٍ مِنَ الدُّنيَا وَإِقبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ، مَعَهُمُ المُسُوحُ، فَيَجلِسُونَ مِنهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوتِ، حَتَّى يَجلِسَ عِندَ رَأسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفسُ الخَبِيثَةُ، اخرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّـهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنتَزِعُهَا كَمَا يُنتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبلُولِ، فَيَأخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَم يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرفَةَ عَينٍ حَتَّى يَجعَلُوهَا فِي تِلكَ المُسُوحِ، وَيَخرُجُ مِنهَا كَأَنتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَت عَلَى وَجهِ الأَرضِ، فَيَصعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بنُ فُلَانٍ، بِأَقبَحِ أَسمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنيَا، حَتَّى يُنتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنيَا، فَيُستَفتَحُ لَهُ، فَلَا يُفتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللَّـهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: «اكتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرضِ السُّفلَى، فَتُطرَحُ رُوحُهُ طَرحًا». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] «فَتُعَادُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَن رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه لَا أَدرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه لَا أَدرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُم؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه لَا أَدرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَن كَذَبَ، فَأَفرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأتِيهِ مِن حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيهِ قَبرُهُ حَتَّى تَختَلِفَ فِيهِ أَضلَاعُهُ، وَيَأتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبشِر بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَومُكَ الَّذِي كُنتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَن أَنتَ؟ فَوَجهُكَ الوَجهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ» (١)

۞ **قَالَ الحَاكِمُ:** وَفِي هَذَا الحَدِيثِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ لِأَهلِ السُّنَّةِ وَقَمعٌ لِلمُبتَدِعَةِ. (٢)

۞ **وَقَالَ ابنُ تَيمِيَّةَ فِي مَجمُوعِ الفَتَاوَى:** هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ثَابِتٌ. (٣)

* **الثَّانِي:** فِي خَسَارٍ، قَالَهُ عِكرِمَةُ.

وَالمَعنَى: بُطلَانُ أَعمَالِهِم، وَذَهَابُهَا بِلَا مَحمَدَةٍ، وَلَا ثَوَابٍ، وَهَذَا سَائِغٌ مُستَفِيضٌ مِن كَلَامِ النَّاسِ، يَقُولُونَ لِمَن خَمَلَ ذِكرُهُ، وَسَقَطَ قَدرُهُ: قَد لَزِقَ بِالحَضِيضِ. (٤)

* **الثَّالِثُ:** فِي سِفَالٍ، قَالَهُ الحَسَنُ. (٥)

* **الرَّابِعُ:** هُوَ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ، رَوَى أَبُو هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ

(١) (أَخرَجَهُ أَحمَدُ ١٨٤٣٥).

(٢) «المُستَدرَكُ عَلَى الصَّحِيحَينِ لِلحَاكِمِ» (١/ ٩٦).

(٣) «مَجمُوعُ الفَتَاوَى» (٤/ ٢٩٠).

(٤) «تَفسِيرُ الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ٥٥).

(٥) «تَفسِيرُ المَاوَردِيِّ = النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ٢٢٧) «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلمِ التَّفسِيرِ» (٤/ ٤١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ: (الفَلَقُ: جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مُغَطًّى، وَسِجِّينٌ: جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مَفتُوحٌ)[١]

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ: رَوَى ابنُ جَرِيرٍ فِي ذَلِكَ حَدِيثًا غَرِيبًا مُنكَرًا لَا يَصِحُّ.[٢]

* الخَامِسُ: أَنَّهُ تَحتَ خَدِّ إِبلِيسَ، قَالَهُ كَعبُ الأَحبَارِ.

كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّ مَا أَحصَاهُ فَبِاستِفزَازِهِ وَوَسَاوِسِهِ وَتَزيِينِهِ اكتَسَبَهُ؛ فَجُعِلَ تَحتَ خَدِّهِ عَن قُربِهِ مِنهُ. وَقَد يَجُوزُ أَن يَكُونَ جُعِلَ تَحتَ خَدِّهِ لِيُقرَنَ مَعَهُ فِي جَهَنَّمَ إِذَا دَخَلَاهُ.[٣]

*السَّادِسُ: أَنَّهُ حَجَرٌ أَسوَدُ تَحتَ الأَرضِ تُكتَبُ فِيهِ أَروَاحُ الكُفَّارِ، حَكَاهُ يَحيَى بنُ سَلَّامٍ.

* السَّابِعُ: أَنَّهُ الشَّدِيدُ، قَالَهُ أَبُو عُبَيدَةَ، وَأَنشَدَ: (ضَربًا تَوَاصَت بِهِ الأَبطَالُ سِجِّينًا).

* الثَّامِنُ: أَنَّهُ السِّجنُ، وَهُوَ فِعِّيلٌ مِن سَجَنتُهُ، وَفِيهِ مُبَالَغَةٌ، قَالَهُ الأَخفَشُ عَلِيُّ بنُ عِيسَى، وَلَا يُمتَنَعُ أَن يَكُونَ هُوَ الأَصلُ، وَاختِلَافُ التَّأوِيلَاتِ فِي مَحَلِّهِ.

۞ وَقَالَ الزَّجَّاجُ: جَعَلَ ذَلِكَ دَلَالَةً عَلَى خَسَاسَةِ مَنزِلَتِهِم.[٤]

وَيُحتَمَلُ تَاسِعٌ: لِأَنَّهُ يَحِلُّ مِنَ الإِعرَاضِ عَنهُ وَالإِبعَادِ لَهُ مَحَلَّ الزَّجرِ

---

(١) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ١٩٦).

(٢) «تَفسِيرُ ابنِ كَثِيرٍ ت سَلَامَةُ» (٨/ ٣٤٩).

(٣) «النُّكَتُ الدَّالَّةُ عَلَى البَيَانِ فِي أَنوَاعِ العُلُومِ وَالأَحكَامِ» (٤/ ٤٨٣).

(٤) «مَعَانِي القُرآنِ وَإِعرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٩٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالهَوَانِ. وَانظُر لِهَذِهِ الأَقوَالِ: النُّكَتَ وَالعُيُونَ.(١)

وَمِنهُم مَن قَالَ: هُوَ عَلَى التَّمثِيلِ، لَيسَ عَلَى تَحقِيقِ المَكَانِ فِي العِلِّيِّينَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ السِّجنَ هُوَ مَكَانُ أَهلِ الخُبثِ فِي الدُّنيَا، فَمُثِّلَت أَعمَالُهُم بِذَلِكَ؛ لِخُبثِهَا وَقُبحِهَا، وَمُثِّلَت أَعمَالُ الأَبرَارِ بِمَا ذُكِرَ مِنَ العِلِّيِّينَ، وَذَلِكَ مَكَانُ أَهلِ الشَّرَفِ وَأُولِي القَدرِ؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ كِنَايَةً عَن طِيبِ أَعمَالِهِم.(٢)

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [المطففين:٨]

وَهَذِهِ الجُملَةُ تُلقِي ظِلَالَ التَّفخِيمِ، وَتُشعِرُ المُخَاطَبَ أَنَّ الأَمرَ أَكبَرُ مِن إِدرَاكِهِ، وَأَضخَمُ مِن أَن يُحِيطَ بِهِ عِلمُهُ. وَلَم يَكُن ذَلِكَ مِمَّا تَعلَمُهُ أَنتَ وَلَا قَومُكَ(٣)، ثُمَّ فَسَّرَ فَقَالَ:

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين:٩]

وَكِتَابُهُم هُوَ سِجِلُّ أَعمَالِهِم، مَرقُومٌ كَالرَّقمِ المَنقُوشِ فِي الثَّوبِ، فَلَا يُزَادُ.

(رَقَمَ) الرَّاءُ وَالقَافُ وَالمِيمُ: أَصلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خَطٍّ وَكِتَابَةٍ وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ. فَالرَّقمُ: الخَطُّ. وَكُلُّ ثَوبٍ وُشِيَ فَهُوَ رَقمٌ. قَالَ الخَلِيلُ ابنُ أَحمَدَ: الرَّقمُ تَعجِيمُ الكِتَابِ. يُقَالُ: كِتَابٌ مَرقُومٌ: إِذَا بُيِّنَت حُرُوفُهُ

(١) «تَفسِيرُ المَاوَردِيِّ = النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ٢٢٨).

(٢) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٥٧).

(٣) «مَعَانِي القُرآنِ وَإِعرَابُهُ لِلزَّجَاجِ» (٥/ ٢٩٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِعَلَامَاتِهَا مِنَ التَّنقِيطِ.(١)

۞ وَقَالَ الرَّاغِبُ: وَالرَّقمُ: الخَطُّ الغَلِيظُ.(٢)

وَقَولُهُ -جَلَّ ذِكرُهُ- ﴿مَرْقُومٌ﴾ [المطففين:٩] فِيهِ أَربَعَةُ تَأوِيلَاتٍ:

* أَحَدُهَا: مَكتُوبٌ، قَالَهُ قَتَادَةُ وَابنُ زَيدٍ. أَي: مَكتُوبٌ فِيهِ أَعمَالُهُم أَو أَسمَاؤُهُم.(٣)

* الثَّانِي: أَنَّهُ مَختُومٌ، وَهُوَ قَولُ الضَّحَّاكِ.(٤)

* الثَّالِثُ: رُقِمَ لَهُ بَشَرٌ لَا يُزَادُ فِيهِم أَحَدٌ، وَلَا يُنقَصُ مِنهُم أَحَدٌ، قَالَهُ مُحَمَّدُ بنُ كَعبٍ.

۞ وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿مَرْقُومٌ﴾ [المطففين:٩] «رُقِمَ لَهُ بَشَرٌ بِإِيجَابِ النَّارِ لَهُم»(٥)

* الرَّابِعُ: إِنَّ المَرقُومَ: المَعلُومُ(٦)

وَالكَلَامُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الكِتَابَ المَرقُومَ هُوَ تَفسِيرٌ لِلسِّجِّينِ عَلَى التَّشبِيهِ، كَأَنَّ مَا رُقِمَ فِيهِ وَأُودِعَهُ مِن قَبَائِحِ أَفعَالِ الفَاجِرِ فِي ضِيقٍ وَإِيَاسٍ مِن أَن يُفلِتَ فِيهِ شَيءٌ؛ كَالمَسجُونِ الَّذِي قَد ضُيِّقَ عَلَيهِ فَلَا يَستَطِيعُ أَن يُفلِتَ،

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٢/ ٤٢٦).

(٢) «المُفرَدَاتُ فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص٣٦٢).

(٣) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ١٩٨).

(٤) «تَفسِيرُ المَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ٢٢٨).

(٥) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ١٩٨).

(٦) «تَفسِيرُ المَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ٢٢٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَاللَّـهُ أَعلَمُ بِمَا أَرَادَ.(١)

۞ وَقَالَ أَبُو مَنصُورٍ المَاتُرِيدِيُّ: وَالرَّقمُ عِندَنَا: هُوَ الإِعلَامُ، يُقَال: رَقَمَ الثَّوبَ؛ إِذَا أَعلَمَهُ؛ فَجَائِزٌ أَن يَكُونَ عِلمُهُ هُوَ أَن يُختَمَ؛ فَيَكُونُ فِيهِ إِخبَارٌ أَنَّهُ لَا يُزَادُ عَلَى قَدرِ مَا عَمِلَ، وَلَا يُنقَصُ مِنهَا، وَهُوَ كَمَا ذَكَرنَا مِنَ الفَائِدَةِ فِيمَا وَصَفَ جِبرِيلَ -عَلَيهِ السَّلَامُ- بِالقُوَّةِ وَالأَمَانَةِ؛ بِقَولِهِ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠-٢١]، فَوَصَفَهُ بِالأَمَانَةِ؛ لِيُؤَمِّنَ الخَلقَ عَن خِيَانَتِهِ فِي الكِتَابِ وَتَغيِيرِهِ، وَوَصَفَهُ بِالقُوَّةِ؛ لِيُعلَمَ أَنَّ غَيرَهُ لَا يَتَهَيَّأُ لَهُ أَن يَنتَزِعَ مِنهُ مَا أَرسَلَ عَلَى يَدِهِ، فَيُغَيِّرَهُ، فَكَذَلِكَ وَصَفَهُ بِالخَتمِ وَالإِعلَامِ؛ لِيُؤمَنَ مِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنُّقصَانِ.(٢)

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين: ١٠]

أَي: الرَّاسِخِينَ فِي التَّكذِيبِ بِكُلِّ مَا يَنبَغِي التَّصدِيقُ بِهِ(٣)

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المطففين: ١١]

سُمِّيَ يَومُ الدِّينِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُدِينُ فِيهِ النَّاسَ بِأَعمَالِهِم؛ أَي: يُحَاسِبُهُم عَلَيهَا. أَو لِأَنَّهُ لَا يَنفَعُ فِيهِ إِلَّا الدِّينُ.

وَالدِّينُ اسمٌ لِشَيئَينِ: اسمٌ لِلجَزَاءِ، وَاسمٌ لِلاستِسلَامِ وَالخُضُوعِ؛

(١) «النُّكَتُ الدَّالَّةِ عَلَى البَيَانِ فِي أَنوَاعِ العُلُومِ وَالأَحكَامِ» (٤/ ٤٨٤).

(٢) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٥٨).

(٣) «نَظمَ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٣٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَسُمِّيَ: يَومَ الدِّينِ؛ لِمَا يُدَانُونَ بِأَعمَالِهِم، أَو لِمَا يَستَسلِمُونَ لِلَّهِ -تَعَالَى- فِي ذَلِكَ اليَومِ وَيَخضَعُونَ لَهُ، وَفِي تَكذِيبِهِم بِيَومِ الدِّينِ تَكذِيبٌ لِقُدرَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَتَكذِيبُ رُسُلِهِ؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ كَانُوا يَدعُونَهُم إِلَى الإِيمَانِ بِيَومِ الدِّينِ؛ فَكَانُوا يُكَذِّبُونَهُم بِتَكذِيبِهِم بِذَلِكَ اليَومِ؛ فَيَكُونُ تَأوِيلُهُ مُنصَرِفًا إِلَى مَا ذَكَرنَا مِن تَكذِيبِهِم بِجَمِيعِ مَا يَحِقُّ عَلَيهِمُ التَّصدِيقُ بِهِ.(١)

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ﴾ [المطففين:١٢]

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ﴾ [المطففين:١٢] بِيَومِ الدِّينِ ﴿إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ﴾ [المطففين:١٢] فِي أَقوَالِهِ ﴿أَثِيمٍ﴾ [المطففين:١٢] فِي أَفعَالِهِ؛ وَقَولُهُ: ﴿مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين:١٢] وَرَدَت فِي القُرآنِ فِي مَوضِعَينِ: الأَوَّلُ: فِي سُورَةِ القَلَمِ، وَهَذَا هُوَ الثَّانِي.

- وعَن قَتَادَةَ، فِي قَولِهِ: ﴿مُعۡتَدٍ﴾ [المطففين:١٢] فِي عَمَلِهِ ﴿أَثِيمٍ﴾ [المطففين:١٢] بِرَبِّهِ(٢)
- وَقَالَ أَبُو مَنصُورٍ المَاتُرِيدِيُّ: مُعتَدٍ حُدُودَ اللَّهِ -تَعَالَى-، أَو ظَالِمٌ لِنَفسِهِ. الأَثِيمُ: هُوَ المُرتَكِبُ لِمَا يَأثَمُ بِهِ.(٣)
- وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: اعتَدَى عَلَى اللَّهِ فِي قَولِهِ؛ فَخَالَفَ أَمرَهُ.(٤)
- وَقَالَ الرَّازِيُّ: الإِنسَانُ لَهُ قُوَّتَانِ:

قُوَّةٌ نَظَرِيَّةٌ، وَكَمَالُهَا فِي أَن يَعرِفَ الحَقَّ لِذَاتِهِ.

---

(١) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٥٨).

(٢) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٣/ ١٦٠).

(٣) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ١٤١).

(٤) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ١٩٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقُوَّةٌ عَمَلِيَّةٌ، وَكَمَالُهَا فِي أَن يَعرِفَ الخَيرَ لِأَجلِ العَمَلِ بِهِ.

وَضِدُّ الأَوَّلِ: أَن يَصِفَ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا لَا يَجُوزُ وَصفُهُ بِهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَن مَنَعَ مِن إِمكَانِ البَعثِ وَالقِيَامَةِ إِنَّمَا مَنَعَ؛ إِمَّا لِأَنَّهُ لَم يَعلَم تَعَلُّقَ عِلمِ اللَّهِ بِجَمِيعِ المَعلُومَاتِ مِنَ الكُلِّيَّاتِ وَالجُزئِيَّاتِ، أَو لِأَنَّهُ لَم يَعلَم تَعَلُّقَ قُدرَةِ اللَّهِ بِجَمِيعِ المُمكِنَاتِ. فَهَذَا الِاعتِدَاءُ ضِدُّ القُوَّةِ العَمَلِيَّةِ؛ هُوَ الِاشتِغَالُ بِالشَّهوَةِ وَالغَضَبِ، وَصَاحِبُهُ هُوَ الأَثِيمُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ المُشتَغِلَ بِالشَّهوَةِ وَالغَضَبِ قَلَّمَا يَتَفَرَّغُ لِلعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، وَرُبَّمَا صَارَ ذَلِكَ مَانِعًا لَهُ عَنِ الإِيمَانِ بِالقِيَامَةِ.(١)

۞ **وَقَالَ القُرطُبِيُّ**: «مُعتَدٍ عَلَى الخَلقِ، أَثِيمٌ فِي تَركِ أَمرِ اللَّهِ».(٢)

۞ **وَقَالَ ابنُ كَثِيرٍ**: «مُعتَدٍ فِي أَقوَالِهِ، أَثِيمٌ فِي أَفعَالِهِ». وَقَالَ: مُعتَدٍ فِي تَنَاوُلِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ، يَتَجَاوَزُ فِيهَا الحَدَّ المَشرُوعَ ﴿أَثِيمٍ﴾ [المطففين:١٢] أَي: يَتَنَاوَلُ المُحَرَّمَاتِ.(٣)

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين:١٣]

وَلَمَّا فَسَدَت قُوَّتُهُ العِلمِيَّةُ وَالعَمَلِيَّةُ؛ كَانَتِ النَّتِيجَةُ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ [المطففين:١٣] البَيِّنَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدقِ رَسُولِنَا ﴿قَالَ﴾ [المطففين:١٣] أَي: مِن غَيرِ تَوَقُّفٍ وَلَا تَأَمُّلٍ، بَل بِحَظِّ نَفسٍ أَوقَعَهُ فِي شَهوَةِ المُغَالَبَةِ الَّتِي سَبَبُهَا

(١) «تَفسِيرُ الرَّازِيِّ = مَفَاتِيحُ الغَيبِ أَوِ التَّفسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ٨٧).
(٢) «تَفسِيرُ القُرطُبِيِّ = الجَامِعُ لِأَحكَامِ القُرآنِ» (١٩/ ٢٥٩).
(٣) «تَفسِيرُ ابنِ كَثِيرٍ ت سَلَامَةَ» (٨/ ١٩٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكِبرُ؛ فَقَالَ: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين:١٣] كَقَولِهِ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفُرقَان:٥] وَكَقَولِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النَّحل:٢٤].

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين:-

قَالَ **أَبُو عُبَيدَةَ**: الأَسَاطِيرُ: هِيَ الَّتِي لَا أَصلَ لَهَا. وَهِيَ الأَبَاطِيلُ الَّتِي سَطَّرَهَا الأَوَّلُونَ، وَاحِدُ الأَسَاطِيرِ: أَسطُورٌ وَأُسطُورَةٌ، وَأَسطِيرٌ.(١)

وَقَالَ **الطَّبَرِيُّ**: هَذَا مَا سَطَّرَهُ الأَوَّلُونَ فَكَتَبُوهُ مِنَ الأَحَادِيثِ وَالأَخبَارِ.(٢)

وَقَالَ **أَبُو مَنصُورٍ المَاتُرِيدِيُّ**: هِيَ كِتَابَاتُ الأَوَّلِينَ الَّتِي لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَأَحَادِيثُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَقُولُونَهَا. وَكَانَ النَّضرُ بنُ الحَارِثِ بنِ كِلدَةَ بنِ عَلقَمَةَ يَجلِسُ بَعدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَجَالِسِهِ، حَيثُ يَتلُو القُرآنَ وَيَدعُو إِلَى اللَّهِ، فَيَتلُو عَلَيهِمُ النَّضرُ شَيئًا مِن أَخبَارِ رُستُم وَأَسفِندِيَار وَمَا جَرَى بَينَهُمَا مِنَ الحُرُوبِ فِي زَمَنِ الفُرسِ، ثُمَّ يَقُولُ: وَاللَّهُ، مَا مُحَمَّدٌ بِأَحسَنَ حَدِيثًا مِنِّي، وَمَا حَدِيثُهُ إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، اكتَتَبَهَا كَمَا اكتَتَبتُهَا، وَمَعنَاهُ عِندَنَا: مَا سَطَّرَهُ الأَوَّلُونَ، أَي: كَتَبَهُ، فَالسَّطرُ: الكِتَابَةُ؛ فَيُخبِرُونَ أَنَّهَا لَيسَت مِن عِندِ اللَّهِ -تَعَالَى-، بَل مِمَّا كَتَبَهَا الأَوَّلُونَ الَّذِينَ لَا نِظَامَ لَهُم، وَلَم يَكُن يَقُولُونَ هَذَا فِي كُلِّ مَا يَتلُو عَلَيهِم، وَلَكِنَّهُم كَانُوا يُعَارِضُونَهُ بِهَذَا عِندَمَا كَانَ يَتلُو عَلَيهِم مِن نَبَأِ الأَوَّلِينَ، وَكَانُوا

(١) «تَهذِيبُ اللُّغَةِ» (١٢/ ٢٣٠).

(٢) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ١٩٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَنسِبُونَهُ إِلَى السِّحرِ إِذَا أَتَاهُم بِالآيَاتِ المُعجِزَاتِ.(١)

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين:١٤]

فَرَدَّ اللَّهُ قَولَهُم: ﴿كَلَا﴾ لَيسَ الأَمرُ كَمَا تَظُنُّونَ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين:١٤] بَل: يُقصَدُ بِهِ لِتَصحِيحِ الحُكمِ الَّذِي بَعدَهُ، وَإِبطَالِ مَا قَبلَهُ.(٢)

وَأَصلُ الرَّينِ: الغَلَبَةُ، يُقَال: رَانَتِ الخَمرُ عَلَى عَقلِهِ: إِذَا غَلَبَت.(٣)

(رَيَنَ) الرَّاءُ وَالياءُ وَالنُّونُ: أَصلٌ يَدُلُّ عَلَى غِطَاءٍ وَسِترٍ. فَالرَّينُ: الغِطَاءُ عَلَى الشَّيءِ.(٤)

۞ **وَقَالَ الرَّاغِبُ:** الرَّينُ: صَدَأٌ يَعلُو الشَّيءَ الجَلِيَّ، قَالَ: بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم، أَي: صَارَ ذَلِكَ كَصَدَأٍ عَلَا جِلَاءَ قُلُوبِهِم فَعَمَّى عَلَيهِم مَعرِفَةَ الخَيرِ مِنَ الشَّرِّ.(٥)

۞ **وَقَالَ أَبُو عُبَيدٍ القَاسِمُ بنُ سَلَّامٍ:** كُلُّ مَا غَلَبَكَ وَعَلَاكَ فَقَد رَانَ بِكَ، وَرَانَ عَلَيكَ.(٦)

---

(١) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٥٨).

(٢) «المُفرَدَاتُ فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص١٤١).

(٣) «غَرِيبُ القُرآنِ لِابنِ قُتَيبَةَ ت سَعِيد اللَّحَّام» (ص٤٤٤).

(٤) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٢/ ٤٧٠).

(٥) «المُفرَدَاتُ فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص٣٧٣).

(٦) «غَرِيبُ الحَدِيثِ لِلقَاسِمِ بنِ سَلَّامٍ» (٣/ ٢٧٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَد فَسَّرَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِالذُّنُوبِ؛ فعَن أَبِي هُرَيرَةَ، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ العَبدَ إِذَا أَخطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَت فِي قَلبِهِ نُكتَةٌ سَوداءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاستَغفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلبُهُ، وَإِن عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعلُوَ قَلبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين:١٤].

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.(١)

۞ وعَن حُذَيفَةَ، قَالَ: كُنَّا عِندَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُم سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذكُرُ الفِتَنَ؟ فَقَالَ قَومٌ: نَحنُ سَمِعنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُم تَعنُونَ فِتنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَل، قَالَ: تِلكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِن أَيُّكُم سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوجَ البَحرِ؟

۞ قَالَ حُذَيفَةُ: فَأَسكَتَ القَومُ، فَقُلتُ: أَنَا، قَالَ: أَنتَ لِلَّهِ أَبُوكَ، قَالَ حُذَيفَةُ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلبٍ أُشرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكتَةٌ سَوداءُ، وَأَيُّ قَلبٍ أَنكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكتَةٌ بَيضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلبَينِ: عَلَى أَبيَضَ مِثلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرضُ، وَالآخَرُ أَسوَدُ مُربَادًّا كَالكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعرِفُ مَعرُوفًا، وَلَا يُنكِرُ مُنكَرًا، إِلَّا مَا أُشرِبَ مِن هَوَاهُ»، قَالَ حُذَيفَةُ: وَحَدَّثتُهُ «أَنَّ بَينَكَ وَبَينَهَا بَابًا مُغلَقًا، يُوشِكُ أَن يُكسَرَ»، قَالَ عُمَرُ: أَكسرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَو أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ، قُلتُ: «لَا، بَل يُكسَرُ»، وَحَدَّثتُهُ «أَنَّ ذَلِكَ البَابَ رَجُلٌ يُقتَلُ أَو يَمُوتُ حَدِيثًا لَيسَ

(١) «سُنَنُ التِّرمِذِيِّ ت بَشَّار» (٥/ ٢٩١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِالأَغَالِيطِ».[١]

أَسوَدُ مُربَادٌّ: شِدَّةُ البَيَاضِ فِي سَوَادٍ.

الكُوزُ مُجَخِّيًا: مَنكُوسًا.

وَقَولُهُ -جَلَّ ذِكرُهُ-: ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين:١٤] فِيهِ أَربَعُةُ تَأوِيلَاتٍ، كُلُّهَا تَحمِلُ مَعنَى الأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ:

* أَحَدُهَا: عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَسَبُوا.[٢]

* الثَّانِي: غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِم ذُنُوبُهُم، فَلَا يَخلُصُ إِلَيهَا مَعَهَا خَيرٌ[٣]

* الثَّالِثُ: قَالَ الحَسَنُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «هُوَ الذَّنبُ عَلَى الذَّنبِ حَتَّى يَعمَى القَلبُ».[٤]

۞ وَقَالَ قَتَادَةُ: أَعمَالُ السُّوءِ، إِي وَاللَّهِ، ذَنبٌ عَلَى ذَنبٍ، وَذَنبٌ عَلَى ذَنبٍ حَتَّى مَاتَ قَلبُهُ وَاسوَدَّ.[٥]

* الرَّابِع: أَنَّهُ كَالصَّدَأِ يَغشَى القَلبُ كَالغَيمِ الرَّقِيقِ، وَهَذَا قَولُ الزُّجَاجِ.[٦]

۞ وَقَالَ الفَرَّاءُ: هُوَ أَنَّهُ كَثُرَتِ المَعَاصِي وَالذُّنُوبُ فَأَحَاطَت بِقُلُوبِهِم؛

---

(١) «صَحِيحُ مُسلِمٍ» (١/ ١٢٩).

(٢) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ٢٠٣).

(٣) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ٢٠٤).

(٤) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ٢٠١).

(٥) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ٢٠٣).

(٦) «تَفسِيرُ المَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ٢٢٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَذَلِكَ الرَّيْنُ عَلَيْهَا.[١]

۞ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذِهِ الآيَةُ كَقَولِ رَبِّنَا: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البَقَرَةُ:٨١] الخَطِيئَةُ تُحِيطُ بِالإِنسَانِ فَتُهلِكُهُ، وَقَالَ: «القَلبُ مِثلُ الكَفِّ»، فَإِذَا أَذنَبَ العَبدُ قُبِضَ هَكَذَا، ثُمَّ قُبِضَ أُصبُعٌ، فَإِذَا أَذنَبَ قُبِضَ أُصبُعٌ، وَهَكَذَا حَتَّى يُطبَعَ عَلَى القَلبِ».[٢]

۞ وَقَالَ بَكرُ بنُ عَبدِ اللَّهِ المُزَنِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «القَلبُ إِذَا أَذنَبَ العَبدُ ثُقِبَ فِيهِ ثَقبٌ كَوَخزِ الإِبرَةِ، حَتَّى يَصِيرَ كَالمُنخُلِ -كَالغِربَالِ- فَلَا يَعِي خَيرًا وَلَا يَثبُتُ فِيهِ صَلَاحٌ».[٣]

۞ وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ: «الرَّانُ: حِجَابٌ غَلِيظٌ كَثِيفٌ عَلَى القَلبِ يَمنَعُهُ مِن رُؤيَةِ الحَقِّ وَمِنَ العَمَلِ بِهِ».

مَرَاتِبُ الذُّنُوبِ:

۞ عَن مُجَاهِدٍ قَالَ: «الرَّينُ أَيسَرُ مِنَ الطَّبعِ، وَالطَّبعُ أَيسَرُ مِنَ الإِقفَالِ، وَالإِقفَالُ أَشَدُّ مِن ذَلِكَ».[٤]

وَذَكَرَ الزَّجَّاجُ أَنَّ أَوَّلَ مَنَازِلِ السِّترِ: الغَينُ، وَهُوَ السِّترُ الرَّقِيقُ كَالسَّحَابِ الرَّقِيقِ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ إِذَا ازدَادَ سُمِّيَ: رَينًا، ثُمَّ يَرتَقِي إِلَى الطَّبعِ

(١) «التَّفسِيرُ البَسِيطُ» (٢٣/ ٣٢٤).
(٢) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ٢٠٢).
(٣) «تَفسِيرُ الثَّعلَبِيِّ = الكَشفُ وَالبَيَانُ عَن تَفسِيرِ القُرآنِ ط دَار التَّفسِيرِ» (٢٩/ ٦١).
(٤) «شُعَبُ الإِيمَانِ» (٩/ ٣٧٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِلَى أَن يَصِيرَ كَالقُفلِ عَلَى القَلبِ.[١]

فأَقَلُّ المَرَاتِبِ: هِيَ الغَينُ، عَنِ الأَغَرِّ المُزَنِيِّ، وَكَانَت لَهُ صُحبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلبِي، وَإِنِّي لَأَستَغفِرُ اللهَ فِي اليَومِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٢]

يَعنِي: أَنَّهُ يَتَغَشَّى القَلبَ مَا يَلبَسُهُ. وَأَصلُهُ مِنَ الغَينِ وَهُوَ الغِطَاءُ، وَكُلُّ حَائِلٍ بَينَكَ وَبَينَ شَيءٍ فَهُوَ غَينٌ.[٣]

۞ **قَالَ الخَطَابِيُّ:** وَلَيسَ هَذَا عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَغشَى قَلبَهُ شَكٌّ بَعدَ المَعرِفَةِ، أَو رَيبٌ بَعدَ اليَقِينِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ ﷺ: كَانَ لَا يَزَالُ فِي مَزِيدٍ مِنَ الذِّكرِ، وَالقُربَةِ، وَدَوَامِ المُرَاقبَةِ، فَإِذَا سَهَا عَن شَيءٍ مِنهَا فِي بَعضِ الأَحوَالِ، وَغَلَبَ عَلَيهِ النِّسيَانُ -لِمَا فِيهِ مِنَ الطَّبعِ البَشَرِيِّ- عَدَّهُ عَلَى نَفسِهِ ذَنبًا، وَفَزِعَ إِلَى التَّوبَةِ وَالاستِغفَارِ.[٤]

۞ **وَقَالَ الأُستَاذُ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:** كَانَ ﷺ أَبَدًا فِي التَّرَقِّي مِن أَحوَالِهِ، فَإِذَا ارتَقَى مِن حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ أَعلَى مِمَّا كَانَ فِيهَا فَرُبَّمَا حَصَلَ لَهُ مُلَاحَظَةٌ إِلَى مَا ارتَقَى عَنهَا؛ فَكَانَ يعدُهَا غَينًا بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا حَصَلَ فِيهَا.[٥]

---

(١) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٦٠).

(٢) «صَحِيحُ مُسلِمٍ» (٤/ ٢٠٧٥).

(٣) «تَهذِيبُ اللُّغَةِ» (٨/ ١٧٤) «مَعَالِمُ السُّنَنِ» (١/ ٢٩٥).

(٤) «شَأنُ الدُّعَاءِ» (١/ ١٩٩)

(٥) «الرِّسَالَةُ القُشَيرِيَّةُ» (١/ ١٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَأَخبَرَ أَنَّهُ يَستَغفِرُ اللَّهَ استِغفَارًا يُزِيلُ الغَينَ عَنِ القَلبِ؛ فَلَا يَصِيرُ نُكتَةً سَودَاءَ، كَمَا أَنَّ النُّكتَةَ السَّودَاءَ إِذَا أُزِيلَت لَا تَصِيرُ رَينًا.

۞ **وَقَالَ حُذَيفَةُ**: إِنَّ الإِيمَانَ يَبدُو فِي القَلبِ لَمظَةً بَيضَاءَ، فَكُلَّمَا ازدَادَ العَبدُ إِيمَانًا ازدَادَ قَلبُهُ بَيَاضًا، فَلَو كَشَفتُم عَن قَلبِ المُؤمِنِ لَرَأَيتُمُوهُ أَبيَضَ مُشرِقًا، وَإِنَّ النِّفَاقَ يَبدُو مِنهُ لَمظَةٌ سَودَاءُ، فَكُلَّمَا ازدَادَ العَبدُ نِفَاقًا ازدَادَ قَلبُهُ سَوَادًا، فَلَو كَشَفتُم عَن قَلبِ المُنَافِقِ لَوَجَدتُمُوهُ أَسوَدَ مِربَدًا.[1]

(١) «مجموعُ الفتَاوَى» (١٥/ ٢٨٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

📖 المَرتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الرَّانُ، وَسَبَقُ الكَلَامُ عَنهُ.

۞ قَالَ ابنُ القَيِّمِ: يَصدَأُ القَلبُ مِنَ المَعصِيَةِ، فَإِذَا زَادَت غَلَبَ الصَّدَأُ حَتَّى يَصِيرَ رَانًا، ثُمَّ يَغلِبُ حَتَّى يَصِيرَ طَبعًا وَقفلًا وَخَتمًا، فَيَصِيرَ القَلبُ فِي غِشَاوَةٍ وَغِلَافٍ، فَإِذَا حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ بَعدَ الهُدَى وَالبَصِيرَةِ انعَكَسَ فَصَارَ أَعلَاهُ أَسفَلَهُ، فَحِينَئِذٍ يَتَوَلَّاهُ عَدُوُّهُ وَيَسُوقُهُ حَيثُ أَرَادَ. (١)

وَسَبَقَهُ لِهَذَا المَعنَى أَبُو مُعَاذٍ النَّحوِيُّ؛ فَقَالَ: الرَّينُ: أَن يَسوَدَّ القَلبُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالطَّبعُ: أَن يُطبَعَ عَلَى القَلبِ، وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الرَّينِ، وَالإِقفَالُ أَشَدُّ مِنَ الطَّبعِ، وَهُوَ أَن يُقفَلَ عَلَى القَلبِ. (٢)

📖 المَرتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الطَّبعُ:

وَقَد سَمَّى اللَّهُ السَّوَاتِرَ عَنِ الإِيمَانِ بِأَسَامٍ، مَرَّةً قَالَ: ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [النحل:١٠٨]، وَمَرَّةً قَالَ: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ [الإسراء:٤٦] الآيَةَ، وَمَرَّةً: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤]، فَكَانَ الَّذِينَ وُصِفُوا بِالقُفلِ عَلَى قُلُوبِهِم هُمُ الَّذِينَ انتَهَوا فِي الكُفرِ غَايَتَهُ حَتَّى لَا يُطمَعُ مِنهُمُ الإِيمَانَ، وَهُمُ المُتَمَرِّدُونَ المُعتَقِدُونَ لِلتَّكذِيبِ، وَهُمُ الرُّؤَسَاءُ مِنهُم وَالأَئِمَّةُ.

وَمِنهُم مَن هُوَ مَطبُوعٌ عَلَى قَلبِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ اعتَقَدُوا الكُفرَ لَا عَن تَمَرُّدٍ وَعِنَادٍ، وَلَكِن لَمَّا لَم تَلُح لَهُمُ الأَسبَابُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الإِيمَانِ.

---

(١) «الجَوَابُ الكَافِي لِمَن سَأَلَ عَنِ الدَّوَاءِ الشَّافِي = الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ» (ص٦٠).

(٢) «تَهذِيبُ اللُّغَةِ» (١٥/ ١٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وَقَالَ البَيهَقِيُّ: وَالخَتمُ عَلَى القَلبِ وَالطَّبعُ بِمَعنًى وَاحِدٍ، وَمَن طُبِعَ عَلَى قَلبِهِ فِي ذَنبٍ لَم يَتُب مِنهُ أَبَدًا، قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البَقَرَةُ: ٦]، فَأَيَسَ نَبِيَّهُ ﷺ مِن إِيمَانِهِم، وَأَشَارَ إِلَى سَبَبِ ذَلِكَ وَعِلَّتِهِ، فَقَالَ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾ [البَقَرَةُ: ٧] وَمَعنَى الخَتمِ: التَّغطِيَةُ عَلَى الشَّيءِ، وَالِاستِيثَاقُ مِنهُ حَتَّى لَا يَدخُلَهُ شَيءٌ، فَقَولُهُ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البَقَرَةُ: ٧] أَي: طَبَعَ اللهُ، وَالخَاتَمُ بِمَنزِلَةِ الطَّابَعِ، وَالمَعنَى: أَنَّهَا لَا تَعقِلُ وَلَا تَعِي خَيرًا، فَأَخبَرَ أَنَّهُ حَالَ بَينَهُم وَبَينَ الدَّوَاعِي إِلَى الإِيمَانِ أَن يَخلُصَ إِلَى قُلُوبِهِم، وَحَالَ بَينَ قُلُوبِهِم وَبَينَ إِبصَارِ مَا فِي الإِيمَانِ مِنَ الصَّوَابِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الكَافِرَ مَطبُوعٌ عَلَى قَلبِهِ، مُستَحِيلٌ وُجُودُ الإِيمَانِ مِنهُ، وَقَالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [النَّحلُ: ١٠٨]، فَأَخبَرَ أَنَّ المَطبُوعَ عَلَيهِ غَافِلٌ، وَوُجُودُ الفِعلِ الَّذِي شَرطُهُ الِاختِيَارُ عَنِ الغَافِلِ عَنهُ غَيرُ مُمكِنٍ، وَأَصلُ الطَّبعِ فِي اللُّغَةِ: مِنَ الوَسخِ وَالدَّنَسِ يَغشَيَانِ السَّيفَ، ثُمَّ يُستَعمَلُ فِيمَا يُشبِهُ الوَسَخَ وَالدَّنَسَ مِنَ الآثَامِ وَالأَقذَارِ وَغَيرِهَا مِنَ المَقَابِحِ، وَالِاستِثنَاءُ فِي قَولِهِ: ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النِّسَاءُ: ١٥٥] مِن جَمَاعَةِ اليَهُودِ الَّذِينَ ابتَدَأَتِ القِصَّةُ بِذِكرِهِم، لَا مِنَ المَطبُوعِ عَلَى قُلُوبِهِم.(١)

(١) «شُعَبُ الإِيمَانِ» (٩/ ٣٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خَطَرُ المَعصِيَةِ:

قَالَ بِلَالُ بنُ سَعدٍ: لَا تَنظُر إِلَى صِغَرِ الخَطِيئَةِ، وَلَكِن انظُر إِلَى مَن عَصَيتَ.(١)

وَقَالَ الفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ: بِقَدرِ مَا يَصغُرُ الذَّنبُ عِندَكَ يَعظُمُ عِندَ اللَّهِ، وَبِقَدرِ مَا يَعظُمُ عِندَكَ يَصغُرُ عِندَ اللَّهِ.(٢)

وَقَالَ أَبُو حَفصٍ النَّيسَابُورِيُّ عَمرُو بنُ سَلَمَةَ: المَعَاصِي بَرِيدُ الكُفرِ، كَمَا أَنَّ الحُمَّى بَرِيدُ المَوتِ.(٣)

قَالَ عُمَرُ بنُ ذَرٍّ: «يَا أَهلَ المَعَاصِي، لَا تَغتَرُّوا بِطُولِ حِلمِ اللهِ عَنكُم، وَاحذَرُوا أَسَفَهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى ذِكرُهُ قَالَ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزُّخرُف: ٥٥]».(٤)

وَقَالَ عُمَرُ بنُ ذَرٍّ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَجِلُّوا مَقَامَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِالتَّنَزُّهِ عَمَّا لَا يَحِلُّ، فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَى- لَا يُؤمَنُ مَكرُهُ إِذَا عُصِيَ».(٥)

قَالَ أَبُو سُلَيمَانَ الدَّارَانِيُّ: «إِنَّمَا هَانُوا عَلَيهِ فَتَرَكَهُم وَمَعَاصِيَهُ، وَلَو كَرُمُوا عَلَيهِ مَنَعَهُم عَنهَا».(٦)

---

(١) «شُعَبُ الإِيمَانِ» (٩/ ٣٥٢).
(٢) «شُعَبُ الإِيمَانِ» (٩/ ٣٥٠).
(٣) «شُعَبُ الإِيمَانِ» (٩/ ٣٨٤).
(٤) «شُعَبُ الإِيمَانِ» (٩/ ٣٨٦).
(٥) «شُعَبُ الإِيمَانِ» (٩/ ٣٨٦).
(٦) «شُعَبُ الإِيمَانِ» (٩/ ٣٨٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وقَالَ سُلَيْمَانُ التَّيمِيُّ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُذْنِبُ الذَّنبَ فَيُصبِحُ وَعَلَيهِ مَذَلَّتُهُ».(١)

۞ وَقِيلَ: أَوحَى اللَّهُ -تَعَالَى- إِلَى مُوسَى: يَا مُوسَى، إِنَّ أَوَّلَ مَن مَاتَ مِن خَلقِي إِبلِيسُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَن عَصَانِي، وَإِنَّمَا أَعُدُّ مَن عَصَانِي مِنَ الأَموَاتِ.

وَسَمَّى اللَّهُ -تَعَالَى- الإِيمَانَ الَّذِي هُوَ فِي النِّهَايَةِ مِنَ الخَيرَاتِ: نُورًا، وَسَمَّى الكُفرَ الَّذِي هُوَ فِي النِّهَايَةِ مِنَ الشُّرُورِ: ظُلمَةً، فَإِذَا كَانَ الإِيمَانُ مُنَوِّرًا لِلقَلبِ، وَالكُفرُ مُظلِمًا، فَإِذَا اشتَغَلَ بِالأَسبَابِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الكُفرِ شَيئًا بَعدَ شَيءٍ مِنَ الآثَامِ؛ فَكُلُّ سَبَبٍ مِن ذَلِكَ يَعمَلُ فِي إِظلَامِ القَلبِ حَتَّى تَتِمَّ الظُّلمَةُ.(٢)

۞ وَقَالَ الغَزَالِيُّ: اعلَم أَنَّ الإِنسَانَ لَا يَخلُو فِي مَبدَأِ خِلقَتِهِ مِنَ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ أَصلًا، وَلَيسَ مَعنَى التَّوبَةِ تَركَهَا فَقَط، بَل تَمَامُ التَّوبَةِ بِتَدَارُكِ مَا مَضَى، وَكُلُّ شَهوَةٍ اتَّبَعَهَا الإِنسَانُ ارتَفَعَ مِنهَا ظُلمَةٌ إِلَى قَلبِهِ كَمَا يَرتَفِعُ عَنْ نَفَسِ الإِنسَانِ ظُلمَةٌ إِلَى وَجهِ المِرآةِ الصَّقِيلَةِ، فَإِن تَرَاكَمَت ظُلمَةُ الشَّهَوَاتِ صَارَ رَينًا، كَمَا يَصِيرُ بُخَارُ النَّفَسِ فِي وَجهِ المِرآةِ عِندَ تَرَاكُمِهِ خَبَثًا، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] فَإِذَا تَرَاكَمَ الرَّينُ صَارَ طَبَعًا، فَيُطبَعُ عَلَى قَلبِهِ؛ كَالخَبَثِ عَلَى وَجهِ المِرآةِ إِذَا تَرَاكَمَ

(١) «شُعَبُ الإِيمَانِ» (٩/ ٣٨٧).

(٢) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَطَالَ زَمَانُهُ غَاصَ فِي جِرمِ الحَدِيدِ وَأَفسَدَهُ، وَصَارَ لَا يَقبَلُ الصَّقلَ بَعدَهُ، وَصَارَ كَالمَطبُوعِ مِنَ الخَبَثِ، وَلَا يَكفِي فِي تَدَارُكِ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ تَركُهَا فِي المُستَقبَلِ، بَل لَا بُدَّ مِن مَحوِ تِلكَ الأَرياَنِ الَّتِي انطَبَعَت فِي القَلبِ، كَمَا لَا يَكفِي فِي ظُهُورِ الصُّوَرِ فِي المِرآةِ قَطعُ الأَنفَاسِ وَالبُخَارَاتِ المُسَوِّدَةِ لِوَجهِهَا فِي المُستَقبَلِ مَا لَم يَشتَغِل بِمَحوِ مَا انطَبَعَ فِيهَا مِنَ الأَرياَنِ، وَكَمَا يَرتَفِعُ إِلَى القَلبِ ظُلمَةٌ مِنَ المَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ فَيَرتَفِعُ إِلَيهِ نُورٌ مِنَ الطَّاعَاتِ وَتَركِ الشَّهَوَاتِ، فَتَنمَحِي ظُلمَةُ المَعصِيَةِ بِنُورِ الطَّاعَةِ، وَإِلَيهِ الإِشَارَةُ بِقَولِهِ -عَلَيهِ السَّلَامُ-: «أَتبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا»؛ فَإِذَن لَا يَستَغنِي العَبدُ فِي حَالٍ مِن أَحوَالِهِ عَن مَحوِ آثَارِ السَّيِّئَاتِ عَن قَلبِهِ بِمُبَاشَرَةِ حَسَنَاتٍ تُضَادُّ آثَارُهَا آثَارَ تِلكَ السَّيِّئَاتِ، هَذَا فِي قَلبٍ حَصَلَ أَوَّلًا صَفَاؤُهُ وَجَلَاؤُهُ، ثُمَّ أَظلَمَ بِأَسبَابٍ عَارِضَةٍ، فَأَمَّا التَّصقِيلُ الأَوَّلُ فَفِيهِ يَطُولُ الصَّقلُ؛ إِذ لَيسَ شُغلُ الصَّقلِ فِي إِزَالَةِ الصَّدَأِ عَن المِرآةِ كَشُغلِهِ فِي عَمَلِ أَصلِ المِرآةِ، فَهَذِهِ أَشغَالٌ طَوِيلَةٌ لَا تَنقَطِعُ أَصلًا، وَكُلُّ ذَلِكَ يَرجِعُ إِلَى التَّوبَةِ.[1]

(١) «إِحيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ» (٤/ ١٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]

استُدِلَّ بِمَفهُومِ المُخَالَفَةِ(١) لِهَذِهِ الآيَةِ: أَنَّ أَهلَ الإِيمَانِ يَرَونَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-، ولَو كَانَ أَهلُ الإِيمَانِ يُحجَبُونَ كَمَا حُجِبَ أَهلُ النِّفَاقِ؛ لَتَسَاوَى أَهلُ الإِيمَانِ بِأَهلِ الكُفرِ والنِّفَاقِ في الحَجبِ، فَلَا مَزِيَّةَ لأَهلِ الإِيمَانِ عَنهُم، فَلَا مَعنَى لِتَعيِيرِ اللَّهِ لَهُم.

۞ قَالَ الثَّعلَبِيُّ: قَالَ أَكثَرُ المُفَسِّرِينَ فِي تَفسِيرِ الحِجَابِ فِي هَذِهِ الآيَةِ: مَحجُوبِينَ عَن رُؤيَتِهِ.(٢)

۞ وَقَالَ البِقَاعِيُّ: وَفِيهِ تَمثِيلٌ لِإِهَانَتِهِم بِإِهَانَةِ مَن يَمنَعُ الدُّخُولَ عَلَى المَلِكِ. وَلَمَّا بَيَّنَ مَا لَهُم مِنَ العَذَابِ بِالحِجَابِ الَّذِي هُوَ عَذَابُ القَلبِ الَّذِي لَا عَذَابَ أَشَدُّ مِنهُ؛ لِأَنَّهُ يَتَفَرَّعُ عَنهُ جَمِيعُ العَذَابِ؛ شَرَعَ يُبَيِّنُ بَعضَ مَا تَفَرَّعَ عَنهُ مِن عَذَابِ القَالَبِ مُؤَكِّدًا لِأَجلِ إِنكَارِهِم، مُعَبِّرًا بِأَدَاةِ التَّرَاخِي إِعلَامًا بِعُلُوِّ رُتبَتِهِ فِي أَنوَاعِ العَذَابِ.(٣)

۞ وقَالَ الحَسَنُ: يَكشِفُ الحِجَابَ فَيَنظُرُ إِلَيهِ المُؤمِنُونَ كُلَّ يَومٍ غُدوَةً وَعَشِيَّةً، أَو كَلَامًا هَذَا مَعنَاهُ.(٤)

(١) الاستِدلَالُ بِتَخصِيصِ الشَّيءِ بِالذِّكرِ عَلَى نَفيِ الحُكمِ عَمَّا عَدَاهُ. «رَوضَةُ النَّاظِرِ وَجَنَّةُ المُنَاظِرِ» (٢/ ١١٤).

(٢) «تَفسِيرُ الثَّعلَبِيِّ = الكَشفُ وَالبَيَانُ عَن تَفسِيرِ القُرآنِ ط دَارُ التَّفسِيرِ» (٢٩/ ٦٣).

(٣) «نَظمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٣٢٤).

(٤) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَهلُ الجَنَّةِ يَرونَهُ عِيَانًا لَا يَحجُبُهُم عَنهُ، وَيُكَلِّمُهُم، وَأَمَّا الكَافِرُ فَإِنَّهُ يُقَامُ خَلفَ الحِجَابِ فَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ -تَعَالَى- وَلَا يَنظُرُ إِلَيهِم وَلَا يُزَكِّيهِم حَتَّى يَأمُرَ بِهِم إِلَى النَّارِ.(١)

۞ وَقَالَ رجُلٌ لِمَالِكٍ: يا أَبَا عَبدِ اللهِ، هَل يَرَى المؤمِنونَ رَبَّهُم يومَ القِيَامَةِ؟ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ: لَو لَم يَرَ المؤمِنُونَ رَبَّهُم، لَم يُعَيِّرِ الكُفَّارَ بالحَجبِ.

۞ وَقَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: لَمَّا حُجِبَ أُولَئِكَ فِي السَّخَطِ، وَفِي الغَضَبِ، رَآهُ هَؤُلَاءِ بِرَحمَتِهِ وبِكَرَمِهِ.(٢).

۞ وَقَالَ: «فِي هَذِهِ الآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ أَولِيَاءَ اللَّهِ يَرَونَ رَبَّهُم يَومَ القِيَامَةِ».(٣)

۞ وَقَالَ ابنُ المُبَارَكِ: مَا حَجَبَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَحَدًا عَنهُ إِلَّا عَذَّبَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥-١٧] قَالَ: بِالرُّؤيَةِ»(٤)

۞ وَقَالَ الإِمَامُ أَحمَدُ: فَإِذَا كَانَ الكَافِرُ يُحجَبُ عَنِ اللَّهِ، وَالمُؤمِنُ يُحجَبُ عَنِ اللَّهِ، فَمَا فَضلُ المُؤمِنِ عَلَى الكَافِرِ؟(٥)

---

(١) «تَفسِيرُ مُقَاتِلِ بنِ سُلَيمَانَ» (٤/ ٦٢٣).

(٢) «الاعتِقَادُ لِلبَيهَقِيِّ» (ص١٣١) «مَعرِفَةُ السُّنَنِ وَالآثَارِ» (١/ ١٩٢).

(٣) «شَرحُ أُصُولِ اعتِقَادِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ» (٣/ ٥١٩).

(٤) «شَرحُ أُصُولِ اعتِقَادِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ» (٣/ ٥٦٤).

(٥) «الرَّدُّ عَلَى الجَهمِيَّةِ وَالزَّنَادِقَةِ لِلإِمَامِ أَحمَدَ تَ صَبرِي» (ص١٣٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وَقَالَ الدَّارِمِيُّ: فَفِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ الكُفَّارَ كُلَّهُم مَحجُوبُونَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الرَّحمَنِ -عَزَّ وَعَلَا-، وَأَنَّ أَهلَ الجَنَّةِ غَيرُ مَحجُوبِينَ عَنهُ.(١)

۞ وَقَالَ سَهلٌ التُّستَرِيُّ: وَفِيهَا دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ عَلَى إِثبَاتِ الرُّؤيَةِ لِلمُؤمِنِينَ خَاصَّةً.(٢)

۞ وَقَالَ الحُسَينُ بنُ الفَضلِ: كَمَا حَجَبَهُم فِي الدُّنيَا عَن تَوحِيدِهِ، حَجَبَهُم فِي الآخِرَةِ عَن رُؤيَتِهِ.(٣)

۞ وَقَالَ أَبُو إِسحَاقَ الزَّجَّاجُ: فِي هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يُرَى فِي القِيَامَةِ، وَلَولَا ذَلِكَ مَا كَانَ فِي الآيَةِ فَائِدَةٌ، وَلَا خَسَّت مَنزِلَةُ الكُفَّارِ بِأَنَّهُم يُحجَبُونَ عَنِ اللَّهِ.(٤)

۞ وَقَالَ الإِمَامُ القَصَّابُ: وَالمُؤمِنُ عَاصِيًا كَانَ أَو مُطِيعًا لَم يُكَذِّب بِهِ؛ فَدَخَلَ فِي حُكمِ الآيَةِ فِيمَن يَرَى رَبَّهُ -سُبحَانَهُ-.(٥)

۞ وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: وَأَولَى الأَقوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: أَن يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى ذِكرُهُ- أَخبَرَ عَن هَؤُلَاءِ القَومِ أَنَّهُم عَن رُؤيَتِهِ مَحجُوبُونَ. وَيُحتَمَلُ أَن يَكُونَ مُرَادًا بِهِ الحِجَابُ عَن كَرَامَتِهِ، وَأَن يَكُونَ مُرَادًا بِهِ الحِجَابُ عَن ذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَا دَلَالَةَ فِي الآيَةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُرَادٌ بِذَلِكَ الحِجَابُ عَن مَعنًى مِنهُ دُونَ مَعنًى، وَلَا خَبَرَ بِهِ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَامَت حُجَّتُهُ. فَالصَّوَابُ

(١) «الرَّدُّ عَلَى الجَهمِيَّةِ لِلدَّارِمِيِّ ت البَدر» (ص١٠٢).

(٢) «تَفسِيرُ التُّستَرِيِّ» (ص١٨٩).

(٣) «الكَشفُ وَالبَيَانُ عَن تَفسِيرِ القُرآنِ» (٢٩/ ٦٤).

(٤) «التَّفسِيرُ البَسِيطُ» (٢٣/ ٣٢٨).

(٥) «النُّكَتُ الدَّالَّةُ عَلَى البَيَانِ فِي أَنوَاعِ العُلُومِ وَالأَحكَامِ» (٤/ ٤٨٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَن يُقَالَ: هُم مَحجُوبُونَ عَن رُؤيَتِهِ، وَعَن كَرَامَتِهِ؛ إِذ كَانَ الخَبَرُ عَامًّا، لَا دَلَالَةَ عَلَى خُصُوصِهِ.(١)

📖 مُنَاقَشَةُ قَولِ القَائِلِينَ بِأَنَّ الحِجَابَ عَن كَرَامَتِهِ: -

۞ قَالَ الطَّبَرِيُّ: قَالَ بَعضُهُم: مَعنَى ذَلِكَ: إِنَّهُم مَحجُوبُونَ عَن كَرَامَتِهِ.(٢)

۞ قَالَ أَبُو جَعفَرٍ النَّحَّاسُ: وَهَذَا خَطَأٌ عَلَى مَذهَبِ النَّحوِيِّينَ، مِنهُمُ الخَلِيلُ وَسِيبَوَيهِ، وَلَا يَجُوزُ عِندَهُمَا وَلَا عِندَ غَيرِهِمَا مِنَ النَّحوِيِّينَ: جَاءَنِي زَيدٌ، بِمَعنَى: جَاءَنِي غُلَامُهُ، وَجَاءَتنِي كَرَامَتُهُ.(٣)

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين:١٦-١٧]

ثُمَّ إِنَّهُم بَعدَ ذَلِكَ كُلِّهِ يُشوَونَ فِي الجَحِيمِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُم عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين:١٧] فَجَمَعَ اللَّهُ عَلَيهِمُ العَذَابَ الحِسِّيَّ وَالمَعنَوِيَّ.(٤)

۞ وَقَالَ السَّعدِيُّ: فَذَكَرَ لَهُم ثَلَاثَةَ أَنوَاعٍ مِنَ العَذَابِ: عَذَابَ الجَحِيمِ، وَعَذَابَ التَّوبِيخِ وَاللَّومِ، وَعَذَابَ الحِجَابِ مِن رَبِّ العَالَمِينَ، المُتَضَمِّنَ لِسُخطِهِ وَغَضَبِهِ عَلَيهِم، وَهُوَ أَعظَمُ عَلَيهِم مِن عَذَابِ النَّارِ.(٥)

---

(١) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٠٦).

(٢) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٠٤).

(٣) «إِعرَابُ القُرآنِ لِلنَّحَّاسِ» (٥/ ١١١).

(٤) (التَّفسِيرُ العَقَدِيُّ لِجُزءِ عَمَّ ص١٢٨).

(٥) «تَفسِيرُ السَّعدِيِّ = تَيسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحمَنِ» (ص٩١٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

📖 هَل يَرَى أَهلُ النِّفَاقِ وَالكُفرِ اللـهَ عَزَّ وَجَلَّ؟

* اختَلَفَ العُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الـمَسأَلَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقوَالٍ:-

📖 القَـولُ الأَوَّلُ: أَنَّ الكُفَّـارَ لَا يَـرَونَ رَبَّهُـم بِحَـالٍ؛ لَا المُظهِـرُ لِلكُفـرِ وَلَا المُسِرُّ لَـهُ، وَهَـذَا قَـولُ أَكثَـرِ العُلَـمَاءِ المُتَأَخِّرِيـنَ، وَعَلَيـهِ يَـدُلُّ عُمُـومُ كَلَامِ المُتَقَدِّمِـينَ، وَعَلَيـهِ جُمهُـورُ أَصحَـابِ الإِمَـامِ أَحمَـدَ وَغَيرُهُـم.

۞ وَقَـالَ مُقَاتِـلٌ: أَهـلُ الجَنَّـةِ يَرَونَـهُ عِيَانًـا لَا يَحجُبُهُـم عَنـهُ، وَيُكَلِّمُهُـم، وَأَمَّـا الكَافِـرُ؛ فَإِنَّـهُ يُقَـامُ خَلـفَ الحِجَـابِ؛ فَـلَا يُكَلِّمُهُـمُ اللـهُ تَعَـالَى، وَلَا يَنظُـرُ إِلَيهِـم وَلَا يُزَكِّيهِـم حَتَّـى يَأمُـرَ بِهِـم إِلَى النَّـارِ(١).

۞ وَقَالَ وَكِيعٌ: «يَرَاهُ المُؤمِنُونَ فِي الجَنَّةِ، وَلَا يَرَاهُ إِلَّا المُؤمِنُونَ»(٢).

۞ وَقَـالَ الدَّارِمِـيُّ: فَفِـي هَـذَا: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] دَلِيـلٌ أَنَّ الكُفَّـارَ كُلَّهُـم مَحجُوبُـونَ عَـنِ النَّظَـرِ إِلَى الرَّحمَـنِ -عَـزَّ وَعَـلَا-، وَأَنَّ أَهـلَ الجَنَّـةِ غَـيرُ مَحجُوبِـينَ عَنـهُ(٣).

📖 القَـولُ الثَّـانِي: أَنَّـهُ يَـرَاهُ مَـن أَظهَـرَ التَّوحِيـدَ مِـن مُؤمِنِـي هَـذِهِ الأُمَّـةِ وَمُنَافِقِيهَـا وَغَـبَرَاتٍ مِـن أَهـلِ الكِتَـابِ، وَذَلِـكَ فِي عَرصَـةِ القِيَامَـةِ، ثُـمَّ يَحتَجِـبُ عَـنِ المُنَافِقِـينَ فَـلَا يَرَونَـهُ بَعـدَ ذَلِـكَ، وَهَـذَا قَـولُ أَبِي بَكـرِ بـنِ خُزَيمَـةَ مِـن أَئِمَّـةِ أَهـلِ السُّـنَّةِ.

---

(١) «تَفسِيرُ مُقَاتِلِ بنِ سُلَيمَانَ» (٤/ ٦٢٣).

(٢) «شَرحُ أُصُولِ اعتِقَادِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ» (٣/ ٥٦٠).

(٣) «الرَّدُّ عَلَى الجَهمِيَّةِ لِلدَّارِمِيِّ ت البَدر» (ص١٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ قَالَ ابنُ خُزَيمَةَ: أَمَّا المُنَافِقُونَ؛ فَإِنَّمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِذَلِكَ بِقُلُوبِهِم وَيُقِرُّونَ بِأَلسِنَتِهِم؛ رِيَاءً وَسُمعَةً؛ فَقَد يَتَرَاءَى لَهُم رُؤيَةَ امتِحَانٍ وَاختِبَارٍ لِيَكُونَ حَجبُهُ إِيَّاهُم بَعدَ ذَلِكَ عَن رُؤيَتِهِ حَسرَةً عَلَيهِم وَنَدَامَةً؛ إِذ لَم يُصَدِّقُوا بِهِ بِقُلُوبِهِم وَضَمَائِرِهِم، وَبِوَعدِهِ وَوَعِيدِهِ[١].

وَأَجَابَ أَبُو يَعلَى الفَرَّاءُ عَن قَولِ ابنِ خُزَيمَةَ فَقَالَ: لَيسَ فِي هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى الرُّؤيَةِ، وَإِنَّمَا فِيهِ أَنَّهُ يُخَاطِبُهُم، وَقَد يَجُوزُ أَن يُخَاطِبَ الخَلقَ مِن غَيرِ أَن يَرَوهُ[٢].

📖 القَولُ الثَّالِثُ: أَنَّ الكُفَّارَ يَرَونَهُ رُؤيَةَ تَعرِيفٍ وَتَعذِيبٍ -كَاللِّصِّ إِذَا رَأَى السُّلطَانَ-، ثُمَّ يَحتَجِبُ عَنهُم؛ لِيَعظُمَ عَذَابُهُم وَيَشتَدَّ عِقَابُهُم، وَهَذَا قَولُ أَبِي الحَسَنِ بنِ سَالِمٍ وَأَصحَابِهِ وَقَولُ غَيرِهِم، وَهُم فِي الأُصُولِ مُنتَسِبُونَ إِلَى الإِمَامِ أَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ وَإِلَى سَهلِ بنِ عَبدِ اللَّهِ التُّستَرِيِّ[٣].

۞ وَقَالَ ابنُ تَيمِيَّةَ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] قَالَ كَلَامًا مَعنَاهُ: (حُجِبُوا بَعدَ أَن رَأَوهُ)[٤] يَعنِي: الكُفَّارَ.

۞ وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ: وَهَذِهِ الأَقوَالُ الثَّلَاثَةُ فِي مَذهَبِ الإِمَامِ أَحمَدَ.

---

(١) «التَّوحِيدُ لِابنِ خُزَيمَةَ» (٢/ ٤٣١).

(٢) «إِبطَالُ التَّأوِيلَاتِ» (ص٢٩٥).

(٣) «مَجمُوعُ الفَتَاوَى» (٦/ ٤٨٨)، «حَادِي الأَروَاحِ إِلَى بِلَادِ الأَفرَاحِ» (ص٢٨٨).

(٤) انظُر: «مَجمُوعُ الفَتَاوَى» ٦/ ٤٦٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وَقَالَ النَّوَوِيُّ عَن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدرِيِّ: اعلَم أَنَّ هَذَا الحَدِيثَ قَد يُتَوَهَّمُ مِنهُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَرَونَ اللَّهَ تَعَالَى مَعَ الْمُؤمِنِينَ، وَقَد ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ طَائِفَةٌ، حَكَاهُ ابنُ فُورَك؛ لِقَولِهِ ﷺ: «وَتَبقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى»، وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ بَاطِلٌ، بَل لَا يَرَاهُ الْمُنَافِقُونَ بِإِجمَاعِ مَن يُعتَدُّ بِهِ مِن عُلَمَاءِ الْمُسلِمِينَ، وَلَيسَ فِي هَذَا الحَدِيثِ تَصرِيحٌ بِرُؤيَتِهِم للهِ تَعَالَى[1].

وَفِي حِكَايَةِ الإِجمَاعِ نَظَرٌ، وَالمَسأَلَةُ مِمَّا اختَلَفَ فِيهِ العُلَمَاءُ.

وَلَمَّا ذَكَرَ مَا لِلمُكَذِّبِينَ مِنَ العَذَابِ الَّذِي جَرَّهُ إِلَيهِم إِقبَالُهُم عَلَى الدُّنيَا بَادِئًا بِهِ؛ لِأَنَّ المَقَامَ مِن أَوَّلِ السُّورَةِ لِلوَعِيدِ وَصَوَادِعِ التَّهدِيدِ؛ أَتبَعَهُ مَا لِلمُصَدِّقِينَ الَّذِينَ أَقبَلَ بِهِم إِلَى السَّعَادَةِ تَركُ الحُظُوظِ وَإِعرَاضُهُم عَن عَاجِلِ شَهَوَاتِ الدُّنيَا، فَقَالَ مُؤَكِّدًا لِأَجلِ تَكذِيبِهِم.[2]

(١) «شَرحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسلِمٍ» (٣/ ٢٨).

(٢) «نَظمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٣٢٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:١٨-٢٨]

وَفِي هَذِهِ الآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤَمَّنَ مَندُوبٌ إِلَى الرَّغبَةِ فِي مَلَاذِّ النُّفُوسِ وَشَهَوَاتِهَا فِي الآخِرَةِ وَالسَّعيِ فِي اكتِسَابِهَا، وَأَنَّ تَنَطُّعَ الصُّوفِيَّةِ كَمَا يَدَّعُونَ مِن تَركِ الِاشتِغَالِ بِهَا، وَالِاقتِصَارِ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ الرَّضِيِّ وَحدَهُ، لَا لِلرَّغبَةِ فِي الجَزَاءِ عَلَيهِ مِن مُبَاشَرَةِ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَأَعَدَّهُ لِأَهلِ الجَنَّةِ؛ مَذمُومٌ مِن قَولِهِم، وَغَيرُ مَرضِيٍّ مِن فِعلِهِم؛ لِأَنَّ رِضَا اللَّهِ -جَلَّ جَلَالُهُ- وَإِن كَانَ مِن أَجَلِّ الجَزَاءِ وَأَعظَمِ النَّعِيمِ، فَلَيسَ بِمَانِعٍ مِنَ الرَّغبَةِ فِي مُبَاشَرَةِ مَلَاذِّ النُّفُوسِ، وَالتَّمَتُّعِ بِمَا هُوَ مِن حَظِّهَا، وَأَنَّهُ لَا يَحُطُّهُ مِن دَرَجَةِ طُلَّابِ الرِّضَا.

وَإِنَّمَا نُهُوا عَنهُ فِي الدُّنيَا وَنُدِبُوا إِلَى الزُّهدِ فِيهَا؛ لِأَنَّ مَحظُورَهَا يُفضِي بِهِم إِلَى المُحَرَّمِ وَيُكسِبُهُمُ النَّارَ، وَمُبَاحَهَا يُفضِي بِهِم إِلَى الفُتُورِ وَالكَسَلِ وَالرَّغبَةِ فِي الدُّنيَا عَن مُبَاشَرَةِ تَعَبِ العِبَادَةِ وَنَصَبِهَا، وَتَصعُبُ عَلَيهِم تَجَرُّعُ المَرَارَاتِ، وَتَطمَئِنُّ إِلَى الرَّاحَاتِ وَإِيثَارِ الحَلَاوَاتِ عَلَيهَا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَإِذَا دَخَلُوا الجَنَّةَ وَانتَقَلُوا عَن دَارِ المِحَنِ، وَرُفِعَت عَنهُمُ العِبَادَةُ تَلَذَّذُوا بِمحَابِّ النُّفُوسُ مِنَ الأَكلِ، وَالشُّربِ، وَأَنوَاعِ النَّعِيمِ مِن مُعَانَقَةِ الحُورِ، وَمَن يُزَوَّجُونَ مِنَ الآدَمِيَّاتِ المُطِيعَاتِ، وَيُرَدُّ إِلَيهِم مِنَ الزَّوجَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ لَهُم فِي الدُّنيَا، فَلَم يَضُرُّهُم ذَلِكَ، وَلَا خَشُوا مَقتًا مِن رَبِّهِم، وَلَا حَذِرُوا فُتُورًا عَنِ العِبَادَةِ؛ لِأَنَّهُ جَزَاءٌ لَهُم عَلَى مَا أَطَاعُوهُ فِي الدُّنيَا، وَآثَرُوا طَاعَتَهُ عَلَى مَلَاذِّهِم وَمَحَابِّهِم فِيهَا، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ -سُبحَانَهُ-: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤]؟! وَالقُرآنُ مَملُوءٌ بِهِ مِن قَولِهِ: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة:٢٤]. وَكَيفَ يَكُونُ مَذمُومًا مَعَ قَولِهِ: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].؟! فَلِمَ أَمَرَهُم إِذًا بِالتَّنَافُسِ، وَلِمَ وَصَفَهُ وَمَلَأَ القُرآنَ بِذِكرِهِ؟! وَلِذَلِكَ قَالَ عَبدُ اللَّهِ بنُ مَسعُودٍ: «مَا رَأَيتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَى المُتَنَطِّعِينَ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا رَأَيتُ بَعدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ خَوفًا عَلَيهِم مِن أَبِي بَكرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ-، وَإِنِّي لِأَظُنُّ أَنَّ عُمَرَ كَانَ أَشَدَّ خَوفًا عَلَيهِم، أَو لَهُم -رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ-.

۞ وَرَوَى الأَحنَفُ بنُ قَيسٍ، عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ مَسعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» ثَلَاثًا.(١) فَالتَّنَطُّعُ فِي أَشيَاء، هَذَا أَحَدُهَا، وَهُوَ مِن كِبَارِهَا.(٢)

(١) «صَحِيحُ مُسلِمٍ» (٤/ ٢٠٥٥).

(٢) «النُّكَتُ الدَّالَّةُ عَلَى البَيَانِ فِي أَنوَاعِ العُلُومِ وَالأَحكَامِ» (٤/ ٤٩٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ:

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨]

القُرآنُ مَثَانِي؛ لِذَلِكَ يَذكُرُ الشَّيءَ وَنَقِيضَهُ، فَبَعدَ أَن ذَكَرَ حَالَ الفُجَّارِ، ذَكَرَ حَالَ أَهلِ الإِيمَانِ.

﴿كَلَّآ﴾ [المطففين:١٨] حقًّا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨].

قَولُهُ -جَلَّ ذِكرُهُ- ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨] فِيهِ خَمسَةُ أَقَاوِيلَ:

* **أَحَدُهَا**: عَن هِلَالِ بنِ يَسَافٍ، قَالَ: سَأَلَ ابنُ عَبَّاسٍ كَعبًا وَأَنَا حَاضِرٌ، عَنِ العِلِّيِّينَ، فَقَالَ كَعبٌ: «هِيَ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، وَفِيهَا أَرواحُ المُؤمِنِينَ».(١)

* **الثَّانِي**: السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، قَالَهُ ابنُ زَيدٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.(٢)

* **الثَّالِثُ**: قَائِمَةُ العَرشِ اليُمنَى، قَالَهُ كَعبٌ وَقَتَادَةُ.(٣)

* **الرَّابِعُ**: يَعنِي فِي عُلُوٍّ وَصُعُودٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، قَالَهُ الحَسَنُ.

۞ **وَقَالَ الفَرَّاءُ**: ارتِفَاعٌ بَعدَ ارتِفَاعٍ، وَكَأَنَّهُ لَا غَايَةَ لَهُ.(٤)

* **الخَامِسُ**: سِدرَةُ المُنتَهَى، قَالَهُ الضَّحَّاكُ.

۞ **وَقَالَ الأَجلَحُ**: قُلتُ لِلضَّحَّاكِ: لِمَ تُسَمَّى سِدرَةَ المُنتَهَى؟ قَالَ: لِأَنَّهُ يَنتَهِي إِلَيهَا كُلُّ شَيءٍ مِن أَمرِ اللَّهِ لَا يَعدُوهَا.(٥)

(١) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٢٠٧).

(٢) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٢٠٧).

(٣) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٢٠٨).

(٤) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاءِ» (٣/ ٢٤٧).

(٥) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٢٠٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* وَيُحْتَمَلُ سَادِسٌ: أَن يَصِفَهُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَحِلُّ مِنَ القَبُولِ مَحَلًّا عَالِيًا.

وَكُلُّ هَذِهِ الأَقوَالِ تَرجِعُ إِلَى مَعنًى وَاحِدٍ وَهُوَ: الِارتِفَاعُ وَالعُلُوُّ؛ ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [المطففين:١٨] الَّذِي فِيهِ أَعمَالُهُم أَو أَروَاحُهُم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨] أَي: فِي عُلُوٍّ، وَهِيَ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، أَو سِدرَةُ المُنتَهَى، أَو عُلُوٍّ بَعدَ عُلُوٍّ، أَو فِي الجَنَّةِ، أَو ارتِفَاعٍ بَعدَ ارتِفَاعٍ، أَو أَعلَى الأَمكِنَةِ.

۞ وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: مَعنَاهُ: فِي عُلُوٍّ وَارتِفَاعٍ، فِي سَمَاءٍ فَوقَ سَمَاءٍ، وَعُلُوٍّ فَوقَ عُلُوٍّ، وَجَائِزٌ أَن يَكُونَ ذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَإِلَى سِدرَةِ المُنتَهَى، وَإِلَى قَائِمَةِ العَرشِ، وَلَا خَبَرَ يَقطَعُ العُذرَ بِأَنَّهُ مَعنِيٌّ بِهِ بَعضُ ذَلِكَ دُونَ بَعضٍ، وَالصَّوَابُ أَن يُقَالَ فِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّ كِتَابَ أَعمَالِ الأَبرَارِ لَفِي ارتِفَاعٍ إِلَى حَدٍّ قَد عَلِمَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَزَّ- مُنتَهَاهُ، وَلَا عِلمَ عِندَنَا بِغَايَتِهِ، غَيرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَقصُرُ عَنِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، لِإِجمَاعِ الحُجَّةِ مِن أَهلِ التَّأوِيلِ عَلَى ذَلِكَ.(١)

۞ وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ: «كَمَا يَكتُبُ المُلُوكُ تَوَاقِيعَ مَن تُعَظِّمُهُ بَينَ الأُمَرَاءِ وَخَوَاصِّ أَهلِ المَملَكَةِ، كَأَنَّهُ احتِفَالٌ» كَأَنَّهُ مُتَسَابِقٌ يُكَرَّمُ، فَالإِنسَانُ حِينَ يُرِيدُ أَن يُكَرِّمَ حَافِظًا لِكِتَابِ اللَّهِ يَأتِي بِعِلِّيَةِ القَومِ لِيُكَرِّمَهُ وَسطَهُم، هَذَا جَائِزٌ، وَهَذَا نَوعُ صَلَاةٍ مِنَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَى عَبدِهِ، قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب:٥٦] وَصَلَاةُ اللَّهِ ثَنَاؤُهُ عَلَى عَبدِهِ فِي المَلَأِ الأَعلَى، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [المطففين:١٨] كِتَابُ

(١) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ٢١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَعمَالِهِم: مَا كُتِبَ فِيهِ أَعمَالُهُم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨] فِي المَلَأِ الأَعلَى.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين:١٩]

تَعظِيمٌ بَعدَ تَعظِيمٍ، وَهَذِهِ الكَلِمَةُ تَأتِي لِمَا لَا يُدرَكُ بِالحِسِّ، هَذَا شَيءٌ عَظِيمٌ لَم تَرَهُ أَنتَ مِن قَبلُ، مَا كُنتَ يَا مُحَمَّدُ ﷺ وَلَم تَعلَم هَذَا أَنتَ وَلَا قَومُكَ مِن قَبلِ هَذَا.

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين:٢٠]

مَرقُومٌ: أَي: مَكتُوبٌ؛ أَو رُقِمَ لَهُم بِعِتقٍ مِنَ النَّارِ، كُتِبَ لَهُم أَنَّهُم عُتَقَاءُ، وَأَمَانٌ لَهُم مِنَ النَّارِ. وَسَبَقَ الحَدِيثُ عَن هَذِهِ الكَلِمَةِ.

﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢١]

يَشهَدُ المُقَرَّبُونَ هَذَا التَّكرِيمَ، وَكُلُّ إِنسَانٍ عَلَى قَدرِ مَرتَبَتِهِ.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين:٢٢]

البَرُّ: هُوَ الَّذِي يَبذُلُ مَا سُئِلَ عَنهُ، وَيُجِيبُ إِلَى مَا دُعِيَ إِلَيهِ، فَإِذَا أَجَابَ اللَّهَ -تَعَالَى- فِيمَا دَعَاهُ إِلَيهِ مِنَ التَّوحِيدِ، وَوَفَّى بِأَوَامِرِهِ، وَانتَهَى عَن مَنَاهِيهِ، فَهُوَ مِنَ الأَبرَارِ.(١)

(١) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَهَـذِهِ جُمْلَـةٌ اسـمِيَّةٌ لِلثُّبُـوتِ، فَهَـذَا شَيءٌ ثَابِـتٌ لَـهُ، نَعِيـمٌ فِي دُنيَـاهُ، وَنَعِيـمٌ فِي بَرزَخِـهِ، وَنَعِيـمٌ فِي آخِرَتِـهِ؛ نَعِيـمٌ فِي الدُّنيَـا؛ إِذِ اللَّـهُ قَـالَ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النَّحـلُ: ٩٧] وَقَـالَ -عَـزَّ وَجَـلَّ-: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ [البَقَـرَةُ:٢٠١] وَنَعِيـمُ الدُّنيَـا أَن تَعِيـشَ فِي حَيَـاةٍ طَيِّبَـةٍ مُسـتَقِرَّةٍ، لَا يُشـتَرَطُ فِيهَـا الغِنَـى ، لَكِـنَّ عِنـدَكَ رِضًـا عَـنِ اللَّـهِ -عَـزَّ وَجَـلَّ-، وَرِضًـا عَـن حَيَاتِـكَ. ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [المطففين:٢٢] فِي دُنيَاهُـم. وَعِنـدَ مَوتِـهِ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [إِبرَاهِيـم: ٢٧] ، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠]: لَا تَخَافُـوا مِمَّـا هُـوَ أَمَامَكُـم، وَلَا تَحزَنُـوا عَلَى أَولَادِكُـمُ الَّذِيـنَ خَلَّفتُمُوهُـم، وَأَبـشِرُوا بِالجَنَّـةِ، أَيُّ نَعِيـمٍ أَعظَـمُ مِـن هَـذَا؟ وَإِذَا دُفِـنَ فِي قَـبرِهِ وَوُضِـعَ فِيـهِ: فُتِـحَ لَـهُ بَـابٌ إِلَى الجَنَّـةِ، يَأتِيـهِ مِـن نَعِيمِهَـا إِلَى أَن تَقُـومَ السَّـاعَةُ، وَإِذَا حُـشِرَ يَـومَ القِيَامَـةِ: دَخَـلَ الجَنَّـةَ -إِن شَـاءَ اللَّـهُ-، حَيـثُ مَـا لَا عَـينٌ رَأَت، وَلَا أُذُنٌ سَـمِعَت، وَلَا خَطَـرَ عَـلَى قَلـبِ بَـشَرٍ.

وَالـبِرُّ إِذَا ذُكِـرَ عَـلَى الِانفِـرَادِ أُرِيـدَ بِـهِ مَـا يُـرَادُ بِالتَّقـوَى وَالـبِرِّ جَمِيعًـا، وَكَذَلِـكَ التَّقـوَى إِذَا أُفـرِدَ اقتَضَى مَعنَـى الـبِرِّ، وَإِذَا قُرِنَـا جَمِيعًـا أُرِيـدَ بِالتَّقـوَى جِهَـةٌ، وَبِالـبِرِّ جِهَـةٌ، وَذَلِـكَ أَنَّ التَّقـوَى: هِـيَ أَن يَتَّقِـيَ المَهَالِـكَ، وَذَلِـكَ يَكُـونُ بِالإِجَابَـةِ إِلَى مَـا دُعِـيَ إِلَيـهِ قَـولًا وَفِعـلًا، وَالِانتِهَـاءِ عَـمَّا نُهِـيَ عَنـهُ قَـولًا وَفِعلًا، وَهَـذَا هُـوَ مَعنَـى الـبِرِّ أَيضًـا، فَـإِذَا ذُكِـرَا مَعًـا أُرِيـدَ بِالتَّقـوَى الِاجتِنَـابُ عَـنِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المَحَارِمِ، وَأُرِيدَ بِالبِرِّ إِتيَانُ المَحَاسِنِ.(١)

قَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ:

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]

يَنظُرُونَ إِلَى رَبِّهِم، وَهَذَا أَعلَى نَعِيمِهِم، وَيَنظُرُونَ إِلَى بَعضِهِم، وَيَنظُرُونَ إِلَى الكُفَّارِ يُعَذَّبُونَ، وَيَنظُرُونَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مِنَ النَّعِيمِ.

الأَرَائِكُ: جَمعُ أَرِيكَةٍ، وَهِيَ السَّرِيرُ المُزخرَفُ المُزَيَّنُ الَّذِي تُوجَدُ عَلَيهِ سَتَائِرُ، يُشبِهُ القُبَّةَ.

- **عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ**: ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [المطففين:٢٣] السُّرُرُ فِي الحِجَالِ(٢)
- **قَالَ مُقَاتِلٌ**: إِذَا اجتَمَعَ السَّرِيرُ وَالحَجَلَةُ؛ فَهِيَ الأَرَائِكُ(٣)

وَأَقرَبُ مَا يُمَثِّلُهَا -عِندَنَا- مَا نُسَمِّيهِ «النَّامُوسِيَّةَ»! وَصُورَتُهَا الدُّنيَوِيَّةُ كَانَت أَرقَى وَأَرَقَّ مَظَاهِرِ النَّعِيمِ عِندَ العَرَبِيِّ ذِي العِيشَةِ الخَشِنَةِ! أَمَّا صُورَتُهَا الأُخرَوِيَّةُ فَعِلمُهَا عِندَ اللَّهِ. وَهِيَ عَلَى أَيَّةِ حَالٍ أَعلَى مِن كُلِّ مَا يَعهَدُهُ الإِنسَانُ مِمَّا يَستَمِدُّهُ مِن تَجَارِبِهِ فِي الأَرضِ وَتَصَوُّرَاتِهِ! وَهُم فِي هَذَا النَّعِيمِ نَاعِمُو النُّفُوسِ وَالأَجسَامِ، تَفِيضُ النَّضرَةُ عَلَى وُجُوهِهِم وَمَلَامِحِهِم حَتَّى لَيَرَاهَا كُلُّ رَاءٍ: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين:٢٤].

(١) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٦٢).

(٢) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢١٣).

(٣) «تَفسِيرُ مُقَاتِلِ بنِ سُلَيمَانَ» (٤/ ٦٢٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣] فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوجُهٍ:

* **أَحَدُهَا**: قَالَ النَّحَّاسُ: يَنظُرُونَ إِلَى أَنوَاعِ نَعِيمِهِم فِي الجَنَّةِ مِنَ الحُورِ العِينِ وَالوِلدَانِ، وَالمَرَاكِبِ وَغَيرِهَا.(١)

* **وَالثَّانِي**: قَالَ مُقَاتِلٌ: يَنظُرُونَ إِلَى أَعدَائِهِم حِينَ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ.(٢)

* **وَالثَّالِثُ**: إِذَا اشتَهَوا شَيئًا نَظَرُوا إِلَيهِ؛ فَيَحضُرُهُم ذَلِكَ الشَّيءُ فِي الحَالِ، وَاعلَم أَنَّ هَذِهِ الأَوجُهَ الثَّلَاثَةَ مِن بَابِ الأَنوَاعِ جِنسٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ المَنظُورُ إِلَيهِ، فَوَجَبَ حَملُ اللَّفظِ عَلَى الكُلِّ.

وَيَخطُرُ بِبَالِي تَفسِيرٌ رَابِعٌ: وَهُوَ أَشرَفُ مِنَ الكُلِّ، وَهُوَ أَنَّهُم يَنظُرُونَ إِلَى رَبِّهِم، وَيَتَأَكَّدُ هَذَا التَّأوِيلُ بِمَا قَالَ بَعدَ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين:٢٤]، وَالنَّظَرُ المَقرُونُ بِالنَّضرَةِ هُوَ رُؤيَةُ اللَّهِ تَعَالَى؛ كَمَا قَالَ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٢- ٢٣]، وَمِمَّا يُؤَكِّدُ هَذَا التَّأوِيلَ: أَنَّهُ يَجِبُ الِابتِدَاءُ بِذِكرِ أَعظَمِ اللَّذَّاتِ، وَمَا هُوَ إِلَّا رُؤيَةَ اللَّهِ -تَعَالَى-.(٣)

۞ **وَقَالَ ابنُ بَطَّةَ**: وَصَفَ أَهلَ الجَنَّةِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾ [المُطَفِّفِينَ: ٢٢، ٢٤] مُضَاهِئًا لِقَولِهِ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٢- ٢٣](٤)

---

(١) «إِعرَابُ القُرآنِ لِلنَّحَّاسِ» (٥/ ١١٢).

(٢) «تَفسِيرُ الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ٧٢).

(٣) «مَفَاتِيحُ الغَيبِ» (٣١/ ٩١).

(٤) «الإِبَانَةُ الكُبرَى لِابنِ بَطَّةَ» (٧/ ٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ: جَمَعَ عَلَيهِم نَوعَي العَذَابِ: عَذَابَ النَّارِ، وَعَذَابَ الحِجَابِ عَنهُ -سُبحَانَهُ-، كَمَا جَمَعَ لِأَولِيَائِهِ نَوعَي النَّعِيمِ: نَعِيمَ التَّمَتُّعِ بِمَا فِي الجَنَّةِ، وَنَعِيمَ التَّمَتُّعِ بِرُؤيَتِهِ، وَذَكَرَ -سُبحَانَهُ- هَذِهِ الأَنوَاعَ الأَربَعَةَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فَقَالَ فِي حَقِّ الأَبرَارِ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المُطَفِّفِينَ: ٢٢، ٢٣]. وَلَقَد هَضَمَ مَعنَى الآيَةِ مَن قَالَ: يَنظُرُونَ إِلَى أَعدَائِهِم يُعَذَّبُونَ، أَو يَنظُرُونَ إِلَى قُصُورِهِم وَبَسَاتِينِهِم، أَو يَنظُرُ بَعضُهُم إِلَى بَعضٍ، وَكُلُّ هَذَا عُدُولٌ عَنِ المَقصُودِ إِلَى غَيرِهِ، وَإِنَّمَا المَعنَى: يَنظُرُونَ إِلَى وَجهِ رَبِّهِم، ضِدَّ حَالِ الكُفَّارِ الَّذِينَ هُم عَن رَبِّهِم لَمَحجُوبُونَ.(١)

قَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ:

﴿تَعۡرِفُ فِى وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]

لِأَنَّهُم نَظَرُوا إِلَى اللَّهِ؛ ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣] فَلَمَّا نَظَرَت إِلَى رَبِّهَا تَنَضَّرَت، وَكَانَ فِيهَا نَعِيمُ النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

مَعنَى النَّضرَةِ: هِيَ النَّعِيمُ وَالحُسنُ وَالإِشرَاقُ الَّذِي يَكُونُ فِي الوَجهِ.

۞ قَالَ ابنُ فَارِسٍ: (نَضَرَ) النُّونُ وَالضَّادُ وَالرَّاءُ: أَصلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى حُسنٍ وَجَمَالٍ وَخُلُوصٍ. مِنهُ النَّضرَةُ: حُسنُ اللَّونِ، وَنَضَّرَ اللَّهُ وَجهَهُ: حَسَّنَهُ وَنَوَّرَهُ. وَيُقَالُ هَذَا فِي كُلِّ مُشرِقٍ حَسَنٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]. وَالنَّضِيرُ: الذَّهَبُ؛ لِحُسنِهِ وَخُلُوصِهِ.(٢)

(١) «إِغَاثَةُ اللَّهفَانِ مِن مَصَايِدِ الشَّيطَانِ» (١/ ٣٢).

(٢) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٥/ ٤٣٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وَقَالَ الزَّجَّاجُ: نُضِّرَت بِنَعِيمِ الجَنَّةِ وَالنَّظَرِ إِلَى رَبِّهَا.(١)

۞ وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ: وَمَعنَى قَولِهِ ﷺ: (نَضَّرَ اللهُ عَبدًا)، أَي: نَعَّمَ اللهُ عَبدًا. وَالنَّضرَةُ: النِّعمَةُ.(٢)

۞ وَقَالَ الرَّاغِبُ: النَّضرَةُ: الحُسنُ؛ كَالنَّضَارَة، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المُطَفِّفِينَ: ٢٤] أَي: رَونَقَهُ.(٣)

* وَكَلِمَةُ «نَاضِرَةٌ» فِيهَا خَمسَةُ تَأوِيلَاتٍ، وَلِكُلِّهَا وَجهٌ:-

* أَحَدُهَا: يَعنِي: حَسَنَةٌ، قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ وَالحَسَنُ.(٤)

* الثَّانِي: مُستَبشِرَةٌ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

* الثَّالِثُ: نَاعِمَةٌ، قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.

* الرَّابِعُ: مَسرُورَةٌ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.(٥)

* الخَامِسُ: مُضِيئَةٌ، قَالَ مُقَاتِلٌ: بِيضٌ يَعلُوهَا النُّورُ(٦)، وَقَالَ السُّدِّيُّ:

---

(١) «مَعَانِي القُرآنِ وَإِعرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٥٣).

(٢) «تَهذِيبُ اللُّغَةِ» (١٢/ ٩).

(٣) «المُفرَدَاتُ فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص٨١١).

(٤) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٣/ ٥٠٥)، «تَفسِيرُ الثَّعلَبِيِّ، الكَشفُ وَالبَيَانُ» (٢٨/ ١٤١).

(٥) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٣/ ٥٠٦)، «تَفسِيرُ المَاوَردِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٥٦).

(٦) «تَفسِيرُ الثَّعلَبِيِّ» (٢٨/ ١٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُضِيئَةٌ[١]، وَقَالَ يَمَانٌ: مُسفِرَةٌ[٢]، وَقَالَ الفَرَّاءُ: مُشرِقَةٌ بِالنَّعِيمِ.[٣]

۞ وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكرُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ [القيامة:٢٢]، يَعنِي: يَومَ القِيَامَةِ. ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢]: يَقُولُ: حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ مِنَ النَّعِيمِ؛ يُقَالُ مِن ذَلِكَ: نَضُرَ وَجهُ فُلَانٍ: إِذَا حَسُنَ مِنَ النِّعمَةِ، وَنَضَّرَ اللَّهُ وَجهَهُ: إِذَا حَسَّنَهُ كَذَلِكَ.[٤]

* وَقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: (نَضرَةَ النَّعِيمِ) فِيهَا ثَلَاثَةُ أَقَاوِيلَ:

* أَحَدُهَا: أَنَّهَا الطَّرَاوَةُ وَالنَّضَارَةُ، قَالَهُ ابنُ شَجَرَةَ.

* الثَّانِي: أَنَّهَا البَيَاضُ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ.

* الثَّالِثُ: أَنَّهَا عَينٌ فِي الجَنَّةِ يَتَوَضَّؤُونَ مِنهَا وَيَغتَسِلُونَ؛ فَتَجرِي عَلَيهِم نَضرَةُ النَّعِيمِ، قَالَهُ عَلِيٌّ.[٥]

۞ وَقَالَ الحَسَنُ: «النُّضرَةُ فِي الوَجهِ، وَالسُّرُورُ فِي القَلبِ».[٦]

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين:٢٥]

قَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين:٢٥]، ﴿يُسْقَوْنَ﴾ [المطففين:٢٥] لَا يَسقُونَ أَنفُسَهُم، بَل لَهُم خَدَمٌ يَسقُونَهُم، وَالرَّحِيقُ: هُوَ الخَمرُ الصَّافِيَةُ.

---

(١) «تَفسِيرُ الثَّعلَبِيِّ» (٢٨/ ١٤٢).

(٢) «تَفسِيرُ الثَّعلَبِيِّ» (٢٨/ ١٤٢).

(٣) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاءِ» (٣/ ٢١٢).

(٤) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٣/ ٥٠٥).

(٥) «تَفسِيرُ المَاوَردِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ٢٢٩).

(٦) «صَحِيحُ البُخَارِيِّ» (٦/ ١٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والجَنَّةُ فِيهَا أَنوَاعُ خَمرٍ:

فِيهَا أَنهَارٌ مِن خَمرٍ، فَهَذَا خَمرٌ جَارٍ.

وَفِيهَا خَمرٌ مَختُومٌ، عَلَيهِ خَاتَمٌ، «وَهَذَا أَشرَفُ وَأَعلَى مِنَ الخَمرِ الَّذِي يَجرِي»، قَالَهُ الإِمَامُ الرَّازِيُّ -رَحمَةُ اللَّهِ عَلَيهِ- فِي تَفسِيرِهِ.

وَفِي الرَّحِيقِ ثَلَاثَةُ أَقَاوِيلَ:

* **أَحَدُهَا**: أَنَّهُ عَينٌ فِي الجَنَّةِ مَشُوبٌ بِمِسكٍ، قَالَهُ الحَسَنُ. وَخَطَّأَ الطَّبَرِيُّ هَذَا القَولَ.

* **الثَّانِي**: أَنَّهُ شَرَابٌ أَبيَضُ يَختِمُونَ بِهِ شَرَابَهُم، قَالَهُ ابنُ أَبِي الدَّردَاءِ.

* **الثَّالِثُ**: أَنَّهُ الخَمرُ فِي قَولِ الجُمهُورِ، وَمِنهُ قَولُ حَسَّانَ:

يُسقَونَ مَن وَرَدِ البَرِيصِ عَلَيهِمُ بَرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلسَلِ

لَكِنِ اختَلَفُوا: أَيُّ الخَمرِ هِيَ؟، عَلَى أَربَعَةِ أَقَاوِيلَ:

* **أَحَدُهَا**: أَنَّهَا الصَّافِيَةُ، حَكَاهُ ابنُ عِيسَى.

* **الثَّانِي**: أَنَّهَا أَصفَى الخَمرِ وَأَجوَدُهُ، قَالَهُ الخَلِيلُ.

* **الثَّالِثُ**: أَنَّهَا الخَالِصَةُ مِن غِشٍّ، حَكَاهُ الأَخفَشُ.

* **الرَّابِعُ**: أَنَّهَا العَتِيقَةُ.(١)

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ ﴾ [المطففين:٢٦]

قَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ ﴾ [المطففين:٢٦] فِيهِ أَربَعَةُ تَأوِيلَاتٍ:

* **أَحَدُهَا**: مِزَاجُهُ مِسكٌ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

(١) «تَفسِيرُ المَاوَردِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ٢٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* **الثَّانِي**: عَاقِبَتُهُ مِسكٌ، وَيَكُونُ خِتَامُهُ آخِرَهُ.

۞ **قَالَ قَتَادَةُ**: يُمزَجُ لَهُم بِالكَافُورِ وَيُختَمُ بِالمِسكِ.

* **الثَّالِثُ**: أَنَّ طَعمَهُ وَرِيحَهُ مِسكٌ، رَوَاهُ ابنُ أَبِي نَجِيحٍ.

* **الرَّابِعُ**: أَنَّ خَتمَهُ الَّذِي خُتِمَ بِهِ إِنَاؤُهُ مِسكٌ، قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.(١)

۞ **عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ مَسعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ-، قَالَ**: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ [المطففين:٢٦] قَالَ: «خَلطٌ وَلَيسَ بِخَاتَمٍ يُختَمُ»، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسنَادِ وَلَم يُخَرِّجَاهُ»(٢)

۞ **وَقَالَ الوَاحِدِيُّ**: وَهَذَا اختِيَارُ جَمِيعِ أَهلِ المَعَانِي، قَالُوا: خِتَامُهُ: عَاقِبَتُهُ وَمَا يَتَخَتَّمُ بِهِ.

وَالمَعنَى: أَنَّهُم إِذَا شَرِبُوا هَذَا الرَّحِيقَ فَفَنِيَ مَا فِي الكَأسِ وَانقَطَعَ الشُّربُ انختَمَ ذَلِكَ بِطَعمِ المِسكِ وَرَائِحَتِهِ. وَالمَعنَى: لَذَاذَةُ المَقطَعِ، وَذَكَاءُ الرَّائِحَةِ وَأَرجُهَا مَعَ طِيبِ الطَّعمِ.

وَالخِتَامُ آخِرُ كُلِّ شَيءٍ، وَمِنهُ يُقَالُ: خَتَمتُ القُرآنَ، وَالأَعمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا، وَنَحوُ ذَلِكَ: الخَاتَمُ وَالخَاتِمُ، وَهُوَ قِرَاءَةُ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ-، وَاختِيَارُ الكِسَائِيِّ؛ فَإِنَّهُ يَقرَأُ (خَاتَمُهُ مِسكٌ) أَي: آخِرَهُ، كَقَولِهِ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

(١) «تَفسِيرُ المَاوَردِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ٢٣٠).

(٢) «المُستَدرَكُ عَلَى الصَّحِيحَينِ لِلحَاكِمِ» (٢/ ٥٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ قَالَ الفَرَّاءُ: وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ فِي المَعنَى، إِلَّا أَنَّ الخَاتِمَ الإِسمُ، وَالخِتَامُ المَصدَرُ.(١)

۞ وَقَالَ القُرطُبِيُّ: سَبِيلُ الأَشرِبَةِ أَن يَكُونَ الكَدَرُ فِي آخِرِهَا، فَوُصِفَ شَرَابُ أَهلِ الجَنَّةِ بِأَنَّ رَائِحَةَ آخِرِهِ رَائِحَةُ المِسكِ.(٢)

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

كَقَولِهِ -جَلَّ ذِكرُهُ-: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصَّافَّاتُ:٦١]

يُقَالُ: نَفِستُ عَلَيهِ الشَّيءَ أَنفِسُهُ نِفَاسَةً: إِذَا ضَنَنتَ بِهِ، وَلَم تُحِبَّ أَن يَصِيرَ إِلَيهِ.

وَالتَّنَافُسُ: تَفَاعُلٌ مِنهُ، كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّخصَينِ يُرِيدُ أَن يَستَأثِرَ بِهِ دُونَ صَاحِبِهِ، وَهُوَ تَمَنِّي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّفِيسَينِ أَن يَكُونَ لَهُ(٣).

۞ قَالَ الحَسَنُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «مَن نَافَسَكَ فِي دُنيَاكَ فَأَلقِهَا فِي نَحرِهِ، وَمَن نَافَسَكَ فِي دِينِكَ فَنَافِسهُ فِيهِ».

۞ وَقَالَ أَبُو مُسلِمٍ الخَولَانِيُّ: «أَيَظُنُّ أَصحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَن يَستَأثِرُوا بِهِ دُونَنَا؟ لَا وَاللَّهِ، لَنُزَاحِمَنَّهُم عَلَيهِ، وَلَنُنَافِسَنَّهُم فِيهِ حَتَّى يَعلَمُوا أَنَّهُم قَد خَلَّفُوا وَرَاءَهُم رِجَالًا».(٤)

وَإِنَّ أُولَئِكَ المُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ يَأكُلُونَ أَموَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ، وَلَا يَحسِبُونَ حِسَابَ اليَومِ الآخِرِ، وَيُكَذِّبُونَ بِيَومِ الحِسَابِ وَالجَزَاءِ، وَيَرِينُ

(١) «مَعَانِي القُرآنِ» (ص١٢٢٤) «التَّفسِيرُ البَسِيطُ، الوَاحِدِيُّ» (٢٣/ ٣٠٣).

(٢) «تَفسِيرُ القُرطُبِيِّ» (١٩/ ٢٦٥).

(٣) «التَّفسِيرُ البَسِيطُ، الوَاحِدِيُّ» (٢٣/ ٣٠٤).

(٤) «إِحيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ» (٤/ ٤١٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَى قُلُوبِهِمُ الإِثمُ وَالمَعصِيَةُ، إِنَّ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا يَتَنَافَسُونَ فِي مَالٍ أَو مَتَاعٍ مِن مَتَاعِ الأَرضِ الزَّهِيدِ. يُرِيدُ كُلٌّ مِنهُم أَن يَسبِقَ إِلَيهِ، وَأَن يَحصُلَ عَلَى أَكبَرِ نَصِيبٍ مِنهُ. وَمِن ثَمَّ يَظلِمُ وَيَفجُرُ وَيَأثَمُ وَيَرتَكِبُ مَا يَرتَكِبُ فِي سَبِيلِ مَتَاعٍ مِن مَتَاعِ الأَرضِ زَائِلٍ، وَمَا فِي هَذَا العَرَضِ القَرِيبِ الزَّهِيدِ يَنبَغِي التَّنَافُسُ! إِنَّمَا يَكُونُ التَّنَافُسُ فِي ذَلِكَ النَّعِيمِ وَفِي ذَلِكَ التَّكرِيمِ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، فَهُوَ مَطلَبٌ يَستَحِقُّ المُنَافَسَةَ، وَهُوَ أُفُقٌ يَستَحِقُّ السِّبَاقَ، وَهُوَ غَايَةٌ تَستَحِقُّ الغِلَابَ. وَالَّذِينَ يَتَنَافَسُونَ عَلَى شَيءٍ مِن أَشيَاءِ الأَرضِ -مَهمَا كَبُرَ وَجَلَّ وَارتَفَعَ وَعَظُمَ- إِنَّمَا يَتَنَافَسُونَ فِي حَقِيرٍ قَلِيلٍ فَانٍ قَرِيبٍ. وَالدُّنيَا لَا تَزِنُ عِندَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ. وَلَكِنَّ الآخِرَةَ ثَقِيلَةٌ فِي مِيزَانِهِ. فَهِيَ إِذَن حَقِيقَةٌ تَستَحِقُّ المُنَافَسَةَ فِيهَا وَالمُسَابَقَةَ، وَمِن عَجَبٍ أَنَّ التَّنَافُسَ فِي أَمرِ الآخِرَةِ يَرتَفِعُ بِأَروَاحِ المُتَنَافِسِينَ جَمِيعًا، بَينَمَا التَّنَافُسُ فِي أَمرِ الدُّنيَا يَنحَطُّ بِهَا جَمِيعًا، وَالسَّعيُ لِنَعِيمِ الآخِرَةِ يُصلِحُ الأَرضَ وَيُعَمِّرُهَا وَيُطَهِّرُهَا لِلجَمِيعِ، وَالسَّعيُ لِعَرَضِ الدُّنيَا يَدَعُ الأَرضَ مُستَنقَعًا وَبِيئِيًّا تَأكُلُ فِيهِ الدِّيدَانُ بَعضُهَا البَعضَ، أَو تَنهَشُ فِيهِ الهَوَامُّ وَالحَشَرَاتُ جُلُودَ الأَبرَارِ الطَّيِّبِينَ! وَالتَّنَافُسُ فِي نَعِيمِ الآخِرَةِ لَا يَدَعُ الأَرضَ خَرَابًا بَلقَعًا كَمَا قَد يَتَصَوَّرُ بَعضُ المُنحَرِفِينَ، إِنَّمَا يَجعَلُ الإِسلَامُ الدُّنيَا مَزرَعَةَ الآخِرَةِ، وَيَجعَلُ القِيَامَ بِخِلَافَةِ الأَرضِ بِالعَمَارِ مَعَ الصَّلَاحِ وَالتَّقوَى وَظِيفَةَ المُؤمِنِ الحَقِّ، عَلَى أَن يَتَوَجَّهَ بِهَذِهِ الخِلَافَةِ إِلَى اللَّهِ، وَيَجعَلَ مِنهَا عِبَادَةً لَهُ تُحَقِّقُ غَايَةَ وُجُودِهِ كَمَا قَرَّرَهَا اللَّهُ -سُبحَانَهُ- وَهُوَ يَقُولُ:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين:٢٧]

(تَسْنِيمٌ) مَأْخُوذٌ مِنَ السَّنَامِ، وَهُوَ أَعْلَى الجَمَلِ، وَمِنهَا تَسْنِيمُ القَبرِ؛ أَي: تَعلِيَتُهُ، وَهِيَ أَفضَلُ شَرَابِ أَهلِ الجَنَّةِ، يَشرَبُ بِهَا المُقَرَّبُونَ صِرفًا (بِدُونِ خَلطٍ)، وَتُمزَجُ لِلأَبرَارِ وَلِأَصحَابِ اليَمِينِ.

وَالتَّسْنِيمُ، وَالسَّنَامُ: اسمُ مَا ارتَفَعَ مِنَ الشَّيءِ؛ فَيَجُوزُ أَن يَكُونَ سُمِّيَ تَسنِيمًا؛ لِأَنَّهُ يَنحَدِرُ إِلَيهِم مِنَ الأَعلَى.(١)

۞ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ وَغَيرُهُ: يَشرَبُ بِهَا المُقَرَّبُونَ صِرفًا، وَيُمزَجُ لِأَصحَابِ اليَمِينِ مَزجًا(٢)؛ وَهَذَا لِأَنَّ الجَزَاءَ وِفَاقَ العَمَلِ، فَكَمَا خَلَصَت أَعمَالُ المُقَرَّبِينَ كُلُّهَا لِلَّهِ، خَلَصَ شَرَابُهُم؛ وَكَمَا مَزَجَ الأَبرَارُ الطَّاعَاتِ بِالمُبَاحَاتِ، مُزِجَ لَهُم شَرَابُهُم. فَمَن أَخلَصَ أُخلِصَ شَرَابُهُ، وَمَن مَزَجَ مُزِجَ شَرَابُهُ.(٣)

وَالنَّاسُ ثَلَاثَةُ أَقسَامٍ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الوَاقِعَةُ: ٧-١١]

المُقَرَّبُونَ يَشرَبُونَ مِن تَسنِيمٍ صِرفًا بِلَا مَزجٍ، وَأَصحَابُ اليَمِينِ تُمزَجُ

(١) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٦٥).

(٢) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٢٢٣).

(٣) «طَرِيقُ الهِجرَتَينِ وَبَابُ السَّعَادَتَينِ» (ص١٩٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَهُم مَعَ شَرَابِهِم، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام:١٣٢] قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزُّخرُف:٣٢] هَذَا فِي الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «إِنَّ أَهلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَونَ أَهلَ الغُرَفِ كَمَا يَتَرَاءَونَ الكَوكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي السَّمَاءِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ تِلكَ مَنَازِلُ الأَنبِيَاءِ لَا يَبلُغُهَا غَيرُهُم؟ قَالَ: «لَا وَاللهِ، بَل أُنَاسٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا المُرسَلِينَ»(١)، فَأَهلُ الجَنَّةِ يَنظُرُونَ إِلَى أُنَاسٍ أَعلَى مِنهُم كَمَا تَنظُرُ أَنتَ إِلَى النَّجمِ الكَوكَبِ الدُّرِّيِّ البَعِيدِ فِي السَّمَاءِ، بَينَهُم وَبَينَهُم كَمَا بَينَكَ وَبَينَ النَّجمِ فِي السَّمَاءِ.

﴿تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين:٢٧] مَا صِفَتُهَا؟

۞ سُئِلَ عَبدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ عَنهَا؛ فَقَالَ: «هِيَ مِمَّا قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَةُ:١٧]، فَوَصفُهَا فَوقَ إِدرَاكِ العَقلِ البَشَرِيِّ، بَل لَا وَصفَ لَهَا فِي الدُّنيَا أَصلًا. وَقَالَ الحَسَنُ: خَفَايَا أَخفَاهَا اللَّهُ لِأَهلِ الجَنَّةِ.(٢)

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢٨]

يَشرَبُ بِهَا لَا مِنهَا، ﴿بِهَا﴾ [المطففين:٢٨]. بِمَعنَى أَنَّهُم يُروَونَ مِنهَا، بِمَعنَى التَّلَذُّذِ وَالرِّيِّ، يَشرَبُ حَتَّى يَشبَعَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: «هِيَ عَينٌ تَجرِي فِي الهَوَاءِ،

(١) «صَحِيحُ البُخَارِيِّ» رَقمُ: ٣٢٥٦.
(٢) «مُصَنَّفُ ابنِ أَبِي شَيبَةَ» (٧/ ٤٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَتُمْلَأُ الأَكْوَابُ عَلَى قَدرِ الكُوبِ»[١]. ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢٨].

وَلَمَّا ذَكَرَ -سُبحَانَهُ- جَزَاءَ الكَافِرِ بِالجَحِيمِ، وَجَزَاءَ المُؤمِنِ بِالنَّعِيمِ، وَكَانَ مِن أَجَلِّ النَّعِيمِ الشَّمَاتَةُ بِالعَدُوِّ؛ عَلَّلَ جَزَاءَ الكَافِرِ بِمَا فِيهِ شَمَاتَةُ المُؤمِنِ بِهِ؛ لِأَنَّهُ اشتَغَلَ فِي الدُّنيَا بِمَا لَا يُغنِي، فَلَزِمَ مِن ذَلِكَ تَفوِيتُهُ لِمَا يُغنِي، فَقَالَ مُؤَكِّدًا لِأَنَّ ذَا المُرُوءَاتِ وَالهِمَمِ العَالِيَاتِ وَالطَّبعِ السَّلِيمِ وَالمِزَاجِ القَوِيمِ لَا يَكَادُ يُصَدِّقُ مِثلَ هَذَا، وَأَكَّدَهُ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ مِن حَقِّهِ أَلَّا يَكُونَ.[٢]

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين:٢٩-٣٦]

وَجهُ ذِكرِ صَنِيعِ الكَفَرَةِ بِالمُؤمِنِينَ فِي القُرآنِ، وَجَعلِهِ آيَةً تُتلَى وَإِن كَانَ المُؤمِنُونَ بِذَلِكَ عَارِفِينَ؛ يُخَرَّجُ عَلَى أَوجُهٍ:

* **أَحَدُهَا**: أَنَّ فِيهِ تَبيِينَ مَوقِعِ الحُجَجِ فِي قُلُوبِ المُؤمِنِينَ وَعَمَلِهَا بِهِم؛ وَذَلِكَ أَنَّ المُؤمِنِينَ لَمَّا سَخَت أَنفُسُهُم بِاحتِمَالِ الأَذَى وَالمَكرُوهِ مِنَ الكَافِرِينَ، انتَصَبُوا لِمُعَادَاةِ آبَائِهِم وَأَجدَادِهِم وَأَهَالِيهِم، وَرَفَضُوا شَهَوَاتِهِم، وَتَرَكُوا

(١) «تَفسِيرُ الثَّعلَبِيِّ = الكَشفُ وَالبَيَانُ عَن تَفسِيرِ القُرآنِ ط دَار التَّفسِيرِ» (٢٩/ ٨٤).
(٢) «نَظمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٣٣١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَموَالَهُم، وَاختَارُوا اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَدِينِهِ، وَمَعلُومٌ أَنَّهُم لَم يُحَمِّلُوا أَنفُسَهُم كُلَّ هَذِهِ المُؤَنِ طَمَعًا وَرَغبَةً فِي الدُّنيَا؛ لَمَّا لَم يَكُن عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يُرغَبُ فِي مِثلِهِ مِن نَعِيمِ الدُّنيَا؛ فَثَبَتَ أَنَّ الحُجَجَ هِيَ الَّتِي حَمَلَتهُم وَدَعَتهُم إِلَى مُتَابَعَتِهِ لَا غَيرَ؛ فَيَكُونُ فِيمَا ذَكَرنَا تَثبِيتَ رِسَالَتِهِ، وَإِن لَم يَكُن فِي الآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى الحُجَجِ الَّتِي اضطَرَّتهُم إِلَى تَصدِيقِهِ وَالإِنقِيَادِ لَهُ؛ فَيَكُونُ فِي ذِكرِهِ تَقرِيرٌ لِمَن تَأَخَّرَ عَنهُم مِنَ المُؤمِنِينَ بِرِسَالَتِهِ -عَلَيهِ السَّلَامُ-.

* **وَالثَّانِي:** أَنَّ أُولَئِكَ المُؤمِنِينَ صَبَرُوا عَلَى مَا نَالَهُم مِنَ المَكَارِهِ وَاستَقبَلَهُم مِن أَنوَاعِ الأَذَى فِي قِيَامِهِم بِأَمرِ اللَّهِ -تَعَالَى-؛ لِيَكُونَ فِي ذِكرِهِ تَذكِيرٌ لِمَن تَأَخَّرَ مِنَ المُؤمِنِينَ: أَنَّ عَلَيهِمُ الأَمرَ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيَ عَنِ المُنكَرِ، وَأَنَّهُ لَا عُذرَ لَهُم فِي الِامتِنَاعِ عَنِ القِيَامِ بِمَا ذَكَرنَا وَإِن نَالَهُم مِن ذَلِكَ أَذًى وَمَكرُوهٌ؛ بَلِ الوَاجِبُ عَلَيهِمُ الصَّبرُ عَلَى مَا يُصِيبُهُم، وَالقِيَامُ بِمَا يَحِقُّ عَلَيهِم. أَو ذِكرُ مَا لَقِيَ الأَوَائِلُ مِنَ السَّلَفِ مِن المُعَادَاةِ وَالشَّدَائِدِ مِنَ الكَفَرَةِ بِإِظهَارِهِم دِينَ الإِسلَامِ، ثُمَّ نِلنَا نَحنُ هَذِهِ الرُّتبَةَ، وَأُكرِمنَا بِالهُدَى بِلَا مَشَقَّةٍ وَعَنَاءٍ؛ لِنَشكُرَ لِلَّهِ -تَعَالَى- بِذَلِكَ.(١)

۞ **قَالَ سَيِّد قُطب:** وَنَقِفُ لَحظَةً أَمَامَ هَذَا المَشهَدِ الَّذِي يُطِيلُ القُرآنُ عَرضَ مَنَاظِرِهِ وَحَرَكَاتِهِ -مَشهَدِ سُخرِيَةِ الَّذِينَ أَجرَمُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الدُّنيَا- كَمَا أَطَالَ مِن قَبلُ فِي عَرضِ مَشهَدِ نَعِيمِ الأَبرَارِ، وَعَرَضَ مَنَاظِرَهُ وَمَنَاعِمَهُ؛ فَنَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الإِطَالَةَ مِنَ النَّاحِيَةِ التَّأثِيرِيَّةِ فَنٌّ عَالٍ فِي الأَدَاءِ

(١) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَاتُ أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٦٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التَّعبِيرِيِّ، كَمَا أَنَّهُ فَنٌّ عَالٍ فِي العِلَاجِ الشُّعُورِيِّ. فَقَد كَانَتِ القِلَّةُ المُسلِمَةُ فِي مَكَّةَ تُلَاقِي مِن عَنَتِ المُشرِكِينَ وَأَذَاهُم مَا يَفعَلُ فِي النَّفسِ البَشَرِيَّةِ بِعُنفٍ وَعُمقٍ، وَكَانَ رَبُّهُم لَا يَترُكُهُم بِلَا عَونٍ، مِن تَثبِيتِهِ وَتَسرِيَتِهِ وَتَأسِيَتِهِ. وَهَذَا التَّصوِيرُ المُفَصَّلُ لِمَوَاجِعِهِم مِن أَذَى المُشرِكِينَ؛ فِيهِ بَلسَمٌ لِقُلُوبِهِم. فَرَبُّهُم هُوَ الَّذِي يَصِفُ هَذِهِ المَوَاجِعَ. فَهُوَ يَرَاهَا، وَهُوَ لَا يُهمِلُهَا -وَإِن أَمهَلَ الكَافِرِينَ حِينًا- وَهَذَا وَحدَهُ يَكفِي قَلبَ المُؤمِنِ وَيَمسَحُ عَلَى آلَامِهِ وَجِرَاحِهِ. إِنَّ اللَّهَ يَرَى كَيفَ يَسخَرُ مِنهُمُ السَّاخِرُونَ. وَكَيفَ يُؤذِيهِمُ المُجرِمُونَ. وَكَيفَ يَتَفَكَّهُ بِآلَامِهِم وَمَوَاجِعِهِمُ المُتَفَكِّهُونَ. وَكَيفَ لَا يَتَلَاوَمُ هَؤُلَاءِ السَّفَلَةُ وَلَا يَندَمُونَ؟! إِنَّ رَبَّهُم يَرَى هَذَا كُلَّهُ، وَيَصِفُهُ فِي تَنزِيلِهِ، فَهُوَ إِذَن شَيءٌ فِي مِيزَانِهِ، وَهَذَا يَكفِي! نَعَم هَذَا يَكفِي حِينَ تَستَشعِرُهُ القُلُوبُ المُؤمِنَةُ مَهمَا كَانَت مَجرُوحَةً مَوجُوعَةً. ثُمَّ إِنَّ رَبَّهُم يَسخَرُ مِنَ المُجرِمِينَ سُخرِيَةً رَفِيعَةً عَالِيَةً فِيهَا تَلمِيحٌ مُوجِعٌ قَد لَا تُحِسُّهُ قُلُوبُ المُجرِمِينَ المَطمُوسَةُ المُغَطَّاةُ بِالرَّينِ المُطبَقُ عَلَيهَا مِنَ الذُّنُوبِ. وَلَكِنَّ قُلُوبَ المُؤمِنِينَ الحَسَّاسَةَ المُرهَفَةَ تُحِسُّهُ وَتُقَدِّرُهُ، وَتَستَرِيحُ إِلَيهِ وَتَستَنِيمُ! ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ القُلُوبَ المُؤمِنَةَ تَشهَدُ حَالَهَا عِندَ رَبِّهَا، وَنَعِيمَهَا فِي جَنَّاتِهِ، وَكَرَامَتَهَا فِي المَلَأِ الأَعلَى. عَلَى حِينِ تَشهَدُ حَالَ أَعدَائِهَا وَمَهَانَتَهُم فِي المَلَأِ الأَعلَى وَعَذَابَهُم فِي الجَحِيمِ، مَعَ الإِهَانَةِ وَالتَّرذِيلِ، تَشهَدُ هَذَا وَذَلِكَ فِي تَفصِيلٍ وَفِي تَطوِيلٍ، وَهِيَ تَستَشعِرُ حَالَهَا وَتَتَذَوَّقُهُ تَذَوُّقَ الوَاقِعِ اليَقِينِ. وَمَا مِن شَكٍّ أَنَّ هَذَا التَّذَوُّقَ يَمسَحُ عَلَى مَرَارَةِ مَا هِيَ فِيهِ مِن أَذًى وَسُخرِيَةٍ وَقِلَّةٍ وَضَعفٍ. وَقَد يَبلُغُ فِي بَعضِ القُلُوبِ أَن تَتَبَدَّلَ هَذِهِ المَرَارَةُ فِيهَا بِالفِعلِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حَـلَاوَةً، وَهِـيَ تَشـهَدُ هَذِهِ المَشَـاهِدَ فِي ذَلِكَ القَـولِ الكَرِيـمِ. وَمِمَّا يُلَاحَـظُ أَنَّ هَذَا كَانَ هُـوَ وَحدَهُ التَّسـلِيَةَ الإِلَهِيَّـةَ لِلمُؤمِنِينَ المُعَذَّبِـينَ المَألُومِينَ مِن وَسَـائِلِ المُجرِمِينَ الخَسِيسَـةِ، وَأَذَاهُـمُ البَالِـغِ، وَسُـخرِيَتِهِمُ اللَّئِيمَةِ،الجَنَّـةُ لِلمُؤمِنِـينَ، وَالجَحِيـمُ لِلكَافِرِيـنَ. وَتَبدِيـلُ الحَالَـينِ بَـينَ الدُّنيَا وَالآخِـرَةِ تَمَامَ التَّبدِيـلِ، وَهَـذَا كَانَ وَحدَهُ الَّـذِي وَعَـدَ بِـهِ النَّبِـيُّ ﷺ المُبَايِعِـينَ لَـهُ. وَهُـم يَبذُلُـونَ الأَمـوَالَ وَالنُّفُـوسَ! فَأَمَّا النَّـصرُ فِي الدُّنيَـا، وَالغَلَـبُ فِي الأَرضِ؛ فَلَـم يَكُـن أَبَـدًا فِي مَكَّـةَ يُذكَـرُ فِي القُـرآنِ المَكِّـيِّ فِي مَعـرِضِ التَّسرِيَـةِ وَالتَّثبِيـتِ، لَقَـد كَانَ القُرآنُ يُنشِـئُ قُلُوبًـا يُعِدُّهَا لِحَملِ الأَمَانَـةِ. وَهَـذِهِ القُلُـوبُ كَانَ يَجِبُ أَن تَكُونَ مِـنَ الصَّلَابَةِ وَالقُـوَّةِ وَالتَّجَرُّدِ بِحَيثُ لَا تَتَطَلَّـعُ -وَهِـيَ تَبـذُلُ كُلَّ شَيءٍ وَتَحتَمِـلُ كُلَّ شَيءٍ- إِلَى شَيءٍ فِي هَـذِهِ الأَرضِ. وَلَا تَنتَظِـرُ إِلَّا الآخِـرَةَ. وَلَا تَرجُـو إِلَّا رِضوَانَ اللَّـهِ؛ قُلُوبًـا مُسـتَعِدَّةً لِقَطعِ رِحلَةِ الأَرضِ كُلِّهَـا فِي نَصَـبٍ وَشَـقَاءٍ وَحِرمَـانٍ وَعَذَابٍ وَتَضحِيَـةٍ وَاحتِمَالٍ، بِـلَا جَزَاءٍ فِي هَـذِهِ الأَرضِ قَرِيـبٍ، وَلَـو كَانَ هَـذَا الجَزَاءُ هُوَ انتِصَـارُ الدَّعوَةِ وَغَلَبَةُ الإِسـلَامِ وَظُهُـورُ المُسـلِمِينَ! حَتَّـى إِذَا وُجِدَت هَـذِهِ القُلُوبُ الَّتِـي تَعلَمُ أَن لَيـسَ أَمَامَهَا فِي رِحلَـةِ الأَرضِ شَيءٌ إِلَّا أَن تُعطِـيَ بِـلَا مُقَابِـلٍ، وَأَن تَنتَظِـرَ الآخِـرَةَ وَحدَهَا مَوعِدًا لِلجَـزَاءِ، وَمَوعِـدًا كَذَلِـكَ لِلفَصـلِ بَـينَ الحَـقِّ وَالبَاطِـلِ؛ حَتَّـى إِذَا وُجِـدَت هَـذِهِ القُلُـوبُ، وَعَلِـمَ اللَّـهُ مِنهَـا صِـدقَ نِيَّتِهَا عَلَى مَـا بَايَعَـت وَعَاهَدَت؛ أَتَاهَـا النَّصرُ فِي الأَرضِ، وَائتَمَنَهَـا عَلَيـهِ، لَا لِنَفسِـهَا، وَلَكِـن لِتَقُـومَ بِأَمَانَةِ المَنهَـجِ الإِلَهِيِّ، وَهِيَ أَهـلٌ لِأَدَاءِ الأَمَانَـةِ مُـذ كَانَـت لَم تُوعَـد بِـشَيءٍ مِـنَ المَغنَـمِ فِي الدُّنيَـا تَتَقَاضَـاهُ، وَلَم تَتَطَلَّـع إِلَى شَيءٍ مِـنَ المَغنَـمِ فِي الأَرضِ تُعطَـاهُ، وَقَـد تَجَـرَّدَت لِلَّـهِ حَقًّا يَـومَ كَانَت

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَا تَعلَمُ لَهَا جَزَاءً إِلَّا رِضَاهُ! وَكُلُّ الآيَاتِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا ذِكرٌ لِلنَّصرِ فِي الدُّنيَا جَاءَت فِي المَدِينَةِ بَعدَ ذَلِكَ، وَبَعدَ أَن أَصبَحَ هَذَا الأَمرُ خَارِجَ بَرنَامَجِ المُؤمِنِ وَانتِظَارِهِ وَتَطَلُّعِهِ. وَجَاءَ النَّصرُ ذَاتُهُ؛ لِأَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ اقتَضَت أَن تَكُونَ لِهَذَا المَنهَجِ وَاقِعِيَّةٌ فِي الحَيَاةِ الإِنسَانِيَّةِ تُقَرِّرُهُ فِي صُورَةٍ عَمَلِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ تَرَاهَا الأَجيَالُ، فَلَم يَكُن جَزَاءً عَلَى التَّعَبِ وَالنَّصَبِ وَالتَّضحِيَةِ وَالآلَامِ، إِنَّمَا كَانَ قَدَرًا مِن قَدَرِ اللَّهِ تَكمُنُ وَرَاءَهُ حِكمَةٌ نُحَاوِلُ رُؤيَتَهَا الآنَ!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين:٢٩]

هَذِهِ الآيَاتُ مَكِّيَّةٌ، وَتَحكِي عَن وَضعِ استِضعَافٍ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ [المطففين:٢٩] أَي: الكُفَّارَ ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين:٢٩] يَستَهزِئُونَ، وَهَذِهِ عَادَةُ الكُفَّارِ مَعَ أَهلِ الإِيمَانِ دَائِمًا وَأَبَدًا، وَعَادَةُ أَهلِ الفِسقِ مَعَ أَهلِ الإِيمَانِ دَائِمًا وَأَبَدًا، وَهَذَا يُسَمَّى بِلُغَةِ العَصرِ: الحَربَ النَّفسِيَّةَ.(١)

﴿يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين:٢٩] يَضحَكُونَ عَلَى وَجهِ السُّخرِيَةِ، ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين:٣٠] يَغمِزُ بَعضُهُم بَعضًا بِعَينِهِ، وَيُشِيرُونَ بِأَعيُنِهِم، فَجَمَعُوا بَينَ الإِسَاءَةِ بِأَلسِنَتِهِم، وَالإِسَاءَةِ بِأَفعَالِهِم، وَكُفَّارُ اليَومِ اقتَدَوا بِأَسلَافِهِم؛ فَتَرَاهُم يَستَهزِئُونَ بِالنِّقَابِ وَاللِّحَى وَتَقصِيرِ الثِّيَابِ كَمَا صَنَعَ أَسلَافُهُم.

(١) التَّفسِيرُ العَقَدِيُّ لِجُزءِ عَمَّ ص ١٣٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين:٣٠]

مِنَ الغَمزِ، وَهِيَ الإِشَارَةُ بِالجَفنِ وَالحَاجِبِ، وَيَكُونُ الغَمزُ بِمَعنَى العَيبِ، غَمَزَهُ إِذَا عَابَهُ، وَمَا فِي فُلَانٍ غَمِيزَةٌ، أَي: مَا يُعَابُ بِهِ.

﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين:٣١]

يَعنِي الكُفَّارَ إِلَى أَهلِهِم، ﴿انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين:٣١] مُعجَبِينَ بِمَا هُم فِيهِ، يَتَفَكَّهُونَ بِذِكرِهِم. قَالَهُ الفَرَّاءُ، وَمُقَاتِلٌ.

رَجَعُوا إِلَى أَهلِيهِم فَرِحِينَ بِمَا هُم عَلَيهِ مِنَ الكُفرِ، وَمِن التَّلَذُّذِ بِالدُّنيَا؛ وَلِذَلِكَ تَجِدُ الكُفَّارَ دَائِمًا وَأَبَدًا فَرِحِينَ بِكُفرِهِم، وَبِسِعَةِ المَعَاصِي الَّتِي يَظُنُّونَهَا.

أَو ﴿فَكِهِينَ﴾ [المطففين:٣١] بِمَا يَجِدُونَ مِمَّا يُحِبُّونَ.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين:٣٢]

حَكَمُوا عَلَى أَهلِ الإِيمَانِ بِالضَّلَالِ، لَا الضَّلَالَ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ، لَكِنَّ الضَّلَالَ فِي ظَنِّهِم أَنَّهُم بَاعُوا مُتَعَ الدُّنيَا بِشَيءٍ قَالُوا عَنهُ: مَظنُونٌ، قَالُوا: الجَنَّةُ مَظنُونَةٌ، قَد تَكُونُ وَقَد لَا تَكُونُ، أَمَّا نَحنُ أَهلَ الإِيمَانِ فَنُقِرُّ بِهَا وَنُؤمِنُ بِهَا كَأَنَّنَا نَرَاهَا رَأيَ عَينٍ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾ [المطففين:٣٣]

فَاللَّـهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَمْ يَأْمُرهُم بِمُرَاقَبَتِهِم، وَلَمْ يَأْمُرهُم بِمُتَابَعَةِ شُؤُونِهِم، بَل جَاءَ فِي أَثَرٍ: «مِن حُسنِ إِسلَامِ المَرءِ تَركُهُ مَا لَا يَعنِيهِ».

ثُمَّ عَكَسَ اللَّـهُ الحَالَ فَقَالَ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ [المطففين:٣٣] يَومَ القِيَامَةِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين:٣٣] رَدُّوا لَهُم مَا فَعَلُوا بِهِم؛

﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ [هُودٌ:٣٨] هَذَا فِي الدُّنيَا، وَفِي الآخِرَةِ: نَضحَكُ عَلَيكُم.

ذَكَرَ المُفَسِّرُونَ: أَنَّ اللَّـهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَأمُرُ أَبوَابَ النَّارِ أَن تُفتَحَ، فَيَرَاهَا أَهلُ النَّارِ فَيُسرِعُونَ إِلَيهَا، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَيهَا أُوصِدَت فِي أَفوَاهِهِم، فَيَضحَكُ أَهلُ الجَنَّةِ مِنهُم، وَقَد قَالَ رَبُّنَا فِي رُؤيَةِ أَهلِ الجَنَّةِ لِأَهلِ النَّارِ: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ٥٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ٥٣﴾ [الصَّافَّاتُ: ٥١-٥٣] ثُمَّ قَالَ اللَّـهُ: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصَّافَّاتُ:٥٥]، هَذَا الَّذِي دَخَلَ الجَنَّةَ تَفَقَّدَ زَمِيلًا لَهُ، فَأَرَادَ أَن يَرَاهُ فَأَرَاهُ اللَّـهُ إِيَّاهُ، فَإِذَا هُوَ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٣٤-٣٥]

السُّرُرِ، ﴿يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥] يَنظُرُونَ إِلَى رَبِّهِم، وَيَنظُرُونَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّـهُ لَهُم، وَيَنظُرُونَ إِلَى الكُفَّارِ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المُطَفِّفِينَ:٣٦]

﴿ثُوِّبَ﴾ [المُطَفِّفِينَ:٣٦] بِمَعنَى: أُخِذَ بِالثَّوَابِ، بِمَعنَى عَاقِبَةٍ، بِمَعنَى جَزَاءٍ، هَل أَخَذُوا جَزَاءَ مَا كَانُوا يَفعَلُونَ؟ بَلَى وَاللَّهِ، (ثُوِّبُوا) أَخَذُوهُ، نَعَم وَاللَّهِ، جَزَاهُمُ اللَّهُ عَلَى مَا فَعَلُوا، بِأَنَّ لَهُم جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا.

وَهَذِهِ الآيَةُ: إِمَّا أَن نَقُولَ: هِيَ كَقَولِ رَبِّنَا: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدُّخَانُ:٤٩] فَتَكُونَ بِمَعنَى الِاستِهزَاءِ.

أَو تَكُونُ بِمَعنَى أَنَّهُم جُوزُوا عَلَى أَعمَالِهِم.

۞ عَن أَبِي صَالِحٍ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البَقَرَةُ:١٥] قَالَ: يُقَالُ لِأَهلِ النَّارِ وَهُم فِي النَّارِ: اخرُجُوا، فَتُفتَحُ لَهُم أَبوَابُ النَّارِ، فَإِذَا رَأَوهَا قَد فُتِحَت أَقبَلُوا إِلَيهَا يُرِيدُونَ الخُرُوجَ، وَالمُؤمِنُونَ يَنظُرُونَ إِلَيهِم عَلَى الأَرَائِكِ، فَإِذَا انتَهَوا إِلَى أَبوَابِهَا غُلِّقَت دُونَهُم، فَذَلِكَ قَولُهُ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البَقَرَةُ:١٥]، وَيَضحَكُ مِنهُمُ المُؤمِنُونَ حِينَ غُلِّقَت دُونَهُم؛ فَذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[المطففين:٣٤][(١)].

(١) «تَفسِيرُ القُرطُبِيِّ» (١٩/ ٢٦٨)